

مفيض ، وجناح الكفر بجناح رجائه ورواح مناجحه
مهيض ، وحديث اقدامه القديم والحديث طويل عريض .

ذكر فتح الكرك وحصونه

ووردت البشرى بنجح الدرك ، في تسلم حصن الكرك ، وذلك ان
مدة غيبتنا في بلاد انطاكية ، لم تعد من محاصرتها المضايقة
الناكية ، وكان الملك العادل اخو السلطان مقيما بتبنين في
العساكر ، محترزا على البلاد من غائلة العدو الكافر ، مقويا
للأمراء المرتبين على الحصون ، حافظا على الدهماء بحركته في
الأمور عادة السكون ، وكان صهره سعد الدين كمشبه الأسدي
بالكرك موكلا ، وبأهله منكلا ، وقد غلق رهنه وبقي داؤه
معضلا ، وأمره مشكلا ، حتى فنيت ازواجهم ونفذت
موادهم ، ويئسوا من نجدة تأتيهم ، وأمحت عليهم مصايفهم
ومشاتيهم ، فتوسلوا بالملك العادل ، وابدوا له ضراعة
السائل ، وتذرعوا بوسائل الرسائل فما زالت الرسالات
تتردد ، والاقتراحات تتجدد ، والقوم يلبنون والعادل يتشدد ، حتى
دخلوا في الحكم ، وخرجوا على السلم ، وسلموا الحصن وتحصنوا
بالسلامة ، وخلصوا باقامة عذرهم عند قومهم من الملامة ، وكتبت
عن السلطان في بعض البشائر ، مألها بحلاوته عن أرى
(٢٩) الشائر ، وهو اننا لما عدنا الى دمشق رأينا ان
لاندستريح ، ولانثني عن كسر العدو عزمنا الصحيح ، فقلنا نغتم
هذه الشتوة ، ونستكمل الحظوة ، ونواصل بالغزوة
الغزوة ، ونستخلص هذه القلاع التي شغلت منا في هذا الجانب
قلوبا وعساكر ، وأبقت لأهل البلاد في طريقها ندوبا ومعاثر ، وبيمن
صدق هذه العزيمة ، والاستمرار في الجهاد على الشيمة ، وردت
البشرى بأن حصن الكرك عاد إليه بعد الجماع الأصحاب ، وخرج
منه الفرنج وبخله الأصحاب ، وهو الحصن الذي كان طاغيته يحدث
نفسه بقصد الحجاز ، وقد نصب اشراك اشراكه منه على طرق

الاجتياز ، فأنقناه عام أول كأس الحمام ، وملكنا حصنه الذي كان يعتصم به في هذا العام ، واضطر الكفر في اسلامه الى الاسلام ، وتم بحل هذا البيت أمن البيت الحرام ، وقد كان هذا الحصن نيب الدهر في ذلك الفج ، وعذر أهله في ترك الحج وابتسم الاسلام حيث زيد ثغرا ، وساق الى عقائله الرجال مهرا ، فالحمد لله على ما قدر من الحسنى ، ويسر من النعمى ، حمدا يكون لما قدر ازاء ، ولما يسر جزاء والحمد لله الذي انجز صادق عداته ، في كاذب عداته .

ذكر محاصرة صدد وفتحه ، وادراك السعي فيه ونجحه

وقطعنا مخاضة الأحزان خائضين في بحار المسرات المتواصلة ، راكضين الى مضمار المبرات الحافلة . والسلطان سائر والجنة تحت رايته مفتوحة ابوابها ، والنصرة فوق ألويته مشدودة اسبابها ، في اطلاب ابطال انا أوعاها الفجر لم يسعها الى عشائه ، وانا طلع عليها سرحان الصباح سقط من عجاجها على عشائه . ونزلنا على صدد . والصبر قد نفذ . والنصر قد وفد ، والقدر قد رقد ، والعزم قد وقد ، وجاء الملك العادل وظاهر اخاه ، وضافره فيما توخاه ، وشد بالرأي والصزم ماالزمان أرخاه ، وبعث كل ذي عزيمة على التصميم ونخاه ، وشرعنا في مراومة القلعة ، ومساومة السلعة، وجثت المجانيق لاجتثاثها وحدثتها بالأسنة أحداثها ، ورمتها عن قسيها بالقاسيات ، وسمت الى هضاب تلك الأبراج الراسيات ، وأمطرت عليها حجارة ، ولم نعطها من العذاب الواقع بها اجازة . فما رفع بها الحصن الراسي رأسا ، ولا الحجارة مسست منه ركنا ولا الذقوب باشرت أساسا ، ودامت المجانيق منصوبة قد قام دست شطرنجها ، والذقب لم يكشف نقب السور عن وجوه فرنجها ، ودمنا عليها ، الى ثامن شوال ، ونوعنا في افتتاحها الاحتيال ، حتى انن الله في الفتح

فسهل ماتصعب ، وحضر ماتغيب ، وظهر ماتحجب ، وتيسر ماتعسر ، وامكن ماتعذر ، وتأتى ماتأبى ، وأجاب نداء الاسلام ولبى ، وعلما ان صدف ان لم تخرج من ايديهم دخلت ارجلهم في الأصفاد ، وعادوا ثعالب يروغون وكانوا كالأساد ، ونزلوا من سماء العز الى ارض الهوان ، فأذعنوا للضراعة وتضرعوا بالأذعان ، وأخرجوا اسارى المسلمين ليشفعوا لهم في طلب الأمان ، وصارت صدف المسلمين صدفا ، وكانت بالمشركين هدفا ، وعاتت للاسلام سدا ، بعد ان كانت للكفر ردا ومردا ، وطالما مكث فيها المشركون و (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا) (البقرة ١١٦) (لقد جنتم شيئا اداء تكاد السموات يتفطرن منه وتندشق الأرض وتخر الجبال هدا) (مريم ٨٩ - ٩٠) ، ولقد كانت مارنا للكفر جدد.ومرفقا للشر قطع.وناظرا للعدو غض وقد شخص ، وجارحا له هيض وقد قنص ، ويذا للباطل شلت ، وقد امتدت ، وعقدة للضلالة حلت وقد اشتدت ، وتخلصت الداوية بادوائها ، وتملصت بأسوائها ، وصاروا في صور ، وأبدوا بعد استطالتهم القصور .

ذكر ما دبره الفرنج في تقوية قلعة كوكب فانعكس عليهم التدبير

لما عرف من بصر من الفرنج ان صدف لنا صفت • وانها على الفتح الذي يشفي اشفت . قالوا لم يبق لنا الا كوكب . وان صلاح الدين عن قصدها لا يتكذب . وقد أقوت من القوة . وهي تهى ان لم نعالجها بالنجبة المدعوة . وقد ضعف رجاؤها لضعف رجالها • وقل ظهورها لظهور اقلالها • وهذا أوان انجائها وانجاءها . وهي مشرفة على العدم فدبروا في انجاءها . فاذا قوينها وحميناها بقيت عنة في العواقب . وعصمة من الذنائب • فقال مقدم الاسبتار هي كوكبنا المتلالي • ومنكبنا العالي . ومعقلنا المحكم • ومعقلنا المبرم

وحصننا الحصين . ومكاننا المكين . ولنا منه المربع المريع . والمنبع
المنيع . والمحل المحلى . والمعلم المعلى . وهي قفل من البلاء على
البلاد . وموئل من الخطوب الشداد . ولعلها تثبت إلى أن توافينا
من البحر ملوكتنا . وتعود الى عادة الانتظام ساوكتنا . فما تبطىء
جداتنا . وما تخطي نجداتنا . واجمعوا على تسيير مائتي رجل من
النخب . المعين لدفاع الذوب . من كل جرخي نخي . وكمي
أكمي . وجهم جهنمي . وسقر سقري . ووعل جبلي . وبطل باطلي .
وكلب كلب . وذئب سغب . وعاسل معاسر . وباسل باسر .
ومغوار مغو . ومتلوم متلو . وذمر متذمر . ونمر متممر . وسبع
ضار . وشواظ من نار . وجمر من الجحيم . وحام من الحميم . من
شياطين يجزون الجنون . ويمنون المذون . ويشيذون الشؤون .
ويهدون الهدون . ويحزون الحزون . ويفوتون الفتون . ويظنون
بالله الظنون . وقالوا لهم: كيف تمضون وطريق السلامة مخيف
وطارق الاسلام مطيف . والشجامنيف . والشجب مضيف . فقالوا
نحن نســـــــــــــــــير ونصـــــــــــــــــير في ضـــــــــــــــــائر الكهـــــــــــــــــف
اسراراً . وعلى اجياد الاطواد أزراراً . وفي اوكار المغارات اطيارا .
وفي اعماق السيول اكداراً . وعلى ظهور الريود اوزاراً . نسري ليلا
ونختفي نهارة . والليل للعاشقين ستر . ولكم ادلج من الوتر . والنهج
وان بعد فهو في قرب عزمنا فتر . ومن رام النفيس الخطير رمى
نفسه في الخطر . وطار الى الوطر . وغرب الى الغرر . ثم عزموا
على ما زعموا . وعملوا بما عنه عموا . وخطروا الى الخطر .
وحاولوا بما لهم من القدر مزاولة القدر . وتوقلوا في الاكم . وتوغلوا
في الاجم . وتبطنوا في الاوبية . وتمكذوا في الاقنية . واحترسوا
بالكمون . واحترزوا من العيون . وتحركوا على السكون . وكادوا
يصلون الى الموضع . ويحصلون على الطمع . ويدركون الطلاب .
ويهتكون الحجاب . ويعيدون الى الحصن روحه . ويأسون بعد
اليأس جروحه . فعثر بواحد منهم بعض المتصيدين فتصيده . وقاده
وقيده . واتى به الى صاحبه صارم اللين قايماز واستغرب من
الافرنجى هناك الجواز ، فأخبره بالحال . وان بالوادي مكمن
الرجال . فركب اليهم في اصحابه . والتقطهم من سرر الوادي

وشعابه . وركب الشجاع مسعود في طلب اولئك الاشقياء . وانتشر الناس في تلك الاكناف والارجاء فما نجا منهم ناج . ولا نجح راج . ولا عاش عاش . ولا حصل عاثر بانتعاش . فما شعرنا نحن على صدف الحصار . والسلطان مطل من بيت الخشب على من حوله من الانصار . حتى وصل صاحب قايماز بالاسارى مقرنين في الاصفاد . مقوبين في الاقياد . وكان بهم مقدمان من الاسبتار . وقد اشفيا على التبار . فان السلطان ما كان يبقي على احد من الاسبتارية والداوية . فاحضرا عند السلطان للمنية . فانطقهما الله بما فيه حياتهما وناجيا بما به نجاتهما . وقالا عند دخولهما . وامام مذلوما . ما نظن اننا بعد ما شاهدناك يلحقنا سو . فعرفت ان يقائهما مرجو . وانتظرت امر السلطان فيهما . وايقنت انه يبقهما . فمال الى مقالهما . وامر باعتقالهما . فان تلك الكلمة حركت منه الكرم . وحقنت منهما الدم . واستبشرنا بانعكاس ما احكمه الكفر من التدبير . واتعاس من جردوه بالتدمير . وفتح الله علينا صدف ثامن شوال . فشكرناه على ان مد النصر متوال . وسلمت القلعة الى شجاع الدين طغرل الجاندار فهو بها وال .

ذكر حصار كوكب وفتحها

وجئنا الى كوكب . ووجدناها في مناظ الكوكب . كأنها وكر العنقاء . ومنزل العواء . قد نزلتها كلاب عاوية . ونزعت بها ذئاب غاوية . ونزت فيها سباع ضارية . وحمتها بحميتها وابت النزول على امنيتنا ولو بنزل منيها . واختارت العطب على العطاء . وامترت خاف الخلف والشقاق للشقاء . وابت غير الاباء . وبصرت بالامر فصبرت على الضر . واصرت على تحمل الاصر . وترامت على التعامي بالمصائب . وتعامت عن المرامي الصوائب . وقالوا لو بقي منا واحد لحفظ بيت الاسبتار . وخلصه الى الابد من العار . ولا بد من عود الفرنج الى هذه الديار . فتتجدد للاصطبار . ونشدد للانتظار . فقاتلوا اشد قتال . ونازلوا . احد نزال وفوقوا الجروح

المصمية . و صوبوا الصخور المرية ورفعوا المنجنيقات الموجية .
وتواترت زيارات الزيارات الموترة . وتناوبت نواب الزنبوركات
المطيرة . واجترأوا على الاجتراح وجرى سيل الجراح . ودمنا في
الدم . ورد الوجود الى العدم وتجرت الرمال . والتجريد للقتال .
وايتار الحنايا . وايتار المنايا . والرمي في المنجنيق . والجمع
والتفريق . والرقع والتخريق . والنقب والتعليق . والحفر
والتعميق . والحصر والتضييق . والهدم والرد والردم . والصد
والصدم . وكان الوقت صعبا . والغيث سكب . وتكاثر السيول .
وتكاثرت الوحول . ودامت اليم لدموعها مريقة . وبقيت الخيم في
الطين غريقة فلا لمركب مبرك ولا مربوط . ولا لسالك مسالك ولا
مسقط . وكنا في شغل الشاغل من تقلع الاوتاد وتودد الاقدام .
وهي الاطناب ووقوع الخيام وكأن الخيم مناخيل الانداء .
وعدمت الانوار لوجود الانواء . وفقد ماء الشرب مع سيل الماء .
والروايا ما نهضت . ولا نزع ولا غمضت . والرواحل في الطين
باركة . والحياة فاركة . والعلف تاركة . والمطية مطينة وسبل السيل
مستبينة . وقد كشر البرد بالبرد عن اسنان عضاضة بالزرد .
والطرق زلقة لزقه وهي مع سعتها ضيقة . وللمثوق (٣٠) ثقل .
وللقلق عقل . وما ثم الامانيط بالطين . وصعب علينا بصعوبة هذا
الامر أمر اولئك الشياطين . فنزل السلطان خيمته الى قرب المكان .
لتقريب وجوه الامكان . وبني له من الحجارة ماصار له
كالستارة . فحضرت بين يديه والسهام تعبرنا ولا تذعربنا .
والستائر تسترنا عنهم وعليهم تظهرنا والنقاب قد قلع وعلق .
والجرخي قد هتك الحجب وخرق . وتجرد الجند . وانجد الجند .
ونزلت الاثقال والخيم الى اسفل التل . فحفت الثقل بنقل النقل .
وطاب المقام بالغور . وسهل بالسهل . وتحولت الاشد الى اللين
وتحالت الى الطيب عقد الطين . وما زال السلطان ملازما للحصن .
وهناك ظاهرة له منه اسباب الوهن . حتى علق بعض جدرانها .
وطرق الهدم الى بنيانه . فتسلمه بامانه . وذهب سكون سكانه .
فاخرجهم راغمين . واحرجهم غارمين . وتركوا الحصن بكل ما
فيه . واصبحوا بعد مقاتلته للعفو والمعافاة معذفيه . وذلك في

منتصف ذي القعدة . وانتصفت الايام بحل تلك العقدة . ورجعت الليالي بالسكون الى طيب الرقده . وعرضت القلعة على جماعة فلم يقبلوها . وخلوها وأبوا أن يلوها . وتخلوا عنها بهمم واهية فدوليتها قايماز النجمي على كراهية . بعزيمة عن مهامها لاهية . وانتقل السلطان الى المخيم بالقضاء . وحمد الله على قضاء التوفيق وموافقة القضاء . وودعه الاجل الفاضل على عزم مصر بعد ما استكمل لنا مقامه بصدق الكلمة وجد اعتزامه الفتح والنصر، ثم تحول السلطان الى ارض بيسان . وأزال البؤس . وزاد الاحسان . واقام بقية الشهر في تمهيد مجد يقيم في باقي الدهر . واطهر من الفضل ما لم يكن مستورا، وأعطى الأمراء والاجناد في إنفصالهم دستورا . وسار ومعه اخوه الملك العادل مستهل ذي الحجة واضح المحجة لائح البهجة . وأوجها الى القدس في طريق الغور وزارا للبركة . وتبركا بالزور . ووصل يوم الجمعة ثامن الشهر وصلى في قبة الصخرة وخص ذوي الخصاصة بعيم المبرة . وعيد بها يوم الاحد الاضحى . وأضحى بعد ما ضحى ، وقد اصحب مراده وأضحى . وسار يوم الاثنين إلى عسقلان للنظر في مهامها ونظم أسباب أحكامها . وتديبر أحوالها . وترتيب رجالها . وأقام أياما يوضح الجدد ويصلح ما فسد وينشد من الذفع ما فقد . ويخدم من الشر ما وقد . فاذا وجد شعثا له . وان الفى نشره ضمه . وان صادف فتقا وثقة . وان لقي حقا حقه . وان عثر على باطل عفى اثره ، وان بصر بأمل خصه بعرفه وأثره . ثم ودعه اخوه الملك العادل واستقل الى مصر بعسكره ورحل السلطان على صوب عكا موقفا في مورده ومصدره . فما عبر ببلد الاقوى عدده . وكثر عدده وواصل بالرجال مدده . وكنت انفصلت عن خدمته الى دمشق عند رحيله من بيسان لعارض مرض سلبنى الامكان ، والحمد لله الذي وفر حصة الصحة وحول المحنة الى المنحة وكمل الشفاء بعد الاشقاء واهدى عند اليأس أرج الرجاء .

ودخلت سنة خمس وثمانين وخمسمائة

والسلطان في عكا مقيم والامر مستقيم • والنهج قويم . وهو يبواب
اسباب حفظها • ويسبب ابواب حفظها ، ويهذب مراتب مصالحها
ويرتب مذاهب • مناجحها . ويعدل جوانح امورها . ويذل جوانح
جمهورها ، ويقوي ما وهى • ويسري ما هوى ، ويحلي من الشان
ما عطل ، ويعلي من المكان ما سفل • ويعيد نظم ما انتكث • ولم ما
تشعث ، ويجيد كل مادعا إلى بعث مامات منه ويعث • ومكث بها
لايريم القصر إلى ان وصل جماعة من مصر ، فأمرهم فيها بالاقامة
محافظة على الحماية المستدامة • فأمر بهاء الدين قراقوش باتمام
بناء السور ، واحكام احكام الامور . وولى الامير حسام الدين
بشارة بعكا واليا ، ولم يزل لآثار الدولة في ايثار العدل تاليا . ثم
خرج السلطان وسار على طبرية • وبخل دمشق مستهل صفر . وقد
استكمل الظفر ووجه النين به قد سفر • وعز من أمن وذل من
كفر • وحزب الهدى قد انس ونفر الضلال قد نفر ، وجلس على
سرير السرور • ولبس حبير الحبور وبدأ بحضور دار العدل فدر
عدله للبادي والحاضر واقام سفور بشره للمقيم والمسافر . وأفاض
الفضل • ومحا المحل • وأعلى اعلام العلماء • واحلى احلام
الحلماء • وأمضى احكام الحكماء وقضى باكرام الكرماء • واسدى
المعروف واعدى الملهوف • وانكر المناهي ، ونهى عن المنكر وطهر
حكم الشريعة وحكم بالشرع المطهر • واقام مدة الشهر . واولياؤه
جناة النصر واعداؤه عناة القهر ، وايامه مسفرة ولياليه مقمرة .
ومغارس ايديه ثمار المحامد مثمرة • ومجالس اعاليه في بيار
الشدائد مقفرة • والملك يزهوه زاه زاهر • والدين ببهائه مباه باهر
والافاق منيرة والانوار مفيقة • والدولة حق مدال وحقيقة وللجاء
وإني جده وللجود وفي عهده وللسماح سماء تهمع . وللمراد مراد يمرع
وللوجود بالبشر بهجة ، ولللاسنة في الشكر لهجة • وللشريعة شرعة

واضحة والحق سنة لستر الباطل فاضحة • والصنائع راجحة
والذراع ناجحة .

ذكر وصول رسول دار الخلافة والخطبة لولي العهد
عدة الدين ابي نصر محمد ابن الامام الناصر لدين الله
أبي العباس أحمد امير المؤمنين

بتاريخ اوائل صفر وصل رسول منزل الرسالة ، ومقر
الجلالة ، ومربع الامامة • وموضع الكرامة • ومطلع الهدى ومنبع
الندى • ومشرق نور الايمان • ومشروع فيض الاحسان • ومرجع
المرجيين • ومفزع المتجيين ومنجي الناجين • ومنتجي المناجين
ومهبط الوحي • ومصعد الامر والنهي • ومقصد نجاح السعي ،
ومخفف جناح الرحمة • ومقطف جني النعمة • ومجرنيول
المناقب • ومجري سيول المواهب • ومزار املاك السماء • ومدار
افلاك العلاء • ومحج ملوك الارض ومحجة سلوك الفرض • وموطن
التنزيل . وموطيء جبريل ، ومقام الخلافة . وموام الرأفة . ومحمل
الامانة . ومحل البيانة . ومطاف الطائفين . ومعرف الواقفين .
وموقف العارفين . وقبلة المقبلين . وموئل المؤمنين . وكعبة
القاصدين . ومثابة الوافدين . ومعفر وجوه العظماء . ومكفر ذنوب
الكرماء . ومعصب السيادة القرشية . ومنصب الوراثة النبوية
والسدة الشريفة الناصرية . ودار السلام . وقبة الاسلام . فابتهج
السلطان بوصول الرسول وأيقن بحصول السؤل . وسر سره . وأبر
بره . وصدر بذشر الانشراح صدره . وقدر على الاتسام بالتسامي
قدره . واحتفل بأسباب التلقي بالتحف باثواب الترقى . وسأل عن
الرسول المندوب . للسلطان الخ طوب .
ف قيل هو ضياء الدين عبد الوهاب بن سكيته . وصل بالضياء
والسكينة . والاحوال الحالية المزينة . وكان وزير الخلافة يومئذ
معز الدين بن حديده • فعين لهذه الرسالة ابن سكيته حين عرف

اراعه السيدة • فتلقاه يوم دخوله الى دمشق السلطان واولاده •
وكان يوم مشهودا حضره اعيان البلد مائل العسكر واشهاده •
وانزله في دار الكرامة . ورتب له وظائف الاقامة • ثم جلس له في يوم
سعد صباحه . وبدت في جبهة الدهر البهيم غرره وواضحه . وملاط
طرفي الزمان والمكان افراحه • وجاء على وفق الآمال اقتراحه .
وختم باليمن والاقبال رواحه . وورد بكل ما بهج الاولياء • وأزعج
الاعداء . وخاطب السلطان عن الديوان العزيز بكل ما أعزه • وثنى
عطف تباهيه وهزه . ورسا له طودا بالوقار في ايراد الرسالة .
وجلالة في مهب المهابة انوار الجلالة . وتلافظ له بالتفضل . وتطوق
منه بالتطول . وبشر بان امير المؤمنين فوض ولاية عهده • الى ولده
عدة الدين ابي نصر محمد من بعده • واخذ بذلك العهد على من
حضره من اعيان الامة . وحفظ عليهم بتوليته ما ولاههم الله به من
النعمة . واستظهر بما خص به من هذه المرتبة • وامر بذكر اسمه
ونقشه في الخطبة وعلى السكة . وعاد الاسلام به ظاهر الشوكة .
والشكة . وخطبنا لولي العهد بدمشق يوم الجمعة ثالث عشر صفر .
ولم يبق من الامراء والامائل والافاضل إلا من حضر • واحضر معه
الدينانير ونثر • وتولى ذلك الملك الافضل فاطهر ابهة ملكه وبهاء
فضله . وحصل الاسلام من ري رأيه على نهله وعله . وندب
للمرسلة الى الديوان العزيز ضياء الدين الشهر زوري القاسم بن
يحيى . لينشر به ما كاد يعفو من سنن الموافاة ويحيى . وسيرت
معه الهدايا . والتحف والطرف السنايا . وأسارى الفـرنج
الفوارس . وعددها الكوامل النفائس . وتاج ملكهم السليب
والصليب • والملبوس والطيب • واضفيت على رسول الامام ملايس
الاكرام . وقفل ناجح المرام . واصطحب الضيآن لاضاعة مطالع
الايمان . بسفارة سافرة عن سني الاحسان . وبشارة شائرة جني
النحل من نحل الجنان . واهتزت الاعطاف . واعتزت الاطراف •
وابتسمت ثغور الثغور لسدادها . وانتظمت امور الجمهور
لسدادها . وسرت القلوب . وسريت الكروب . وخزي الحاسد
الحاشد . وقوي الساعد المساعد . وواصل في طريقة الاغذاذ . حتى
وصل الى بغداد • فتلقى الرسول بالرسول • وقوبل بالقبول .

وخرج اليه الموكب الشريف واضيف له الى تالد جده القديم جده
الجديد الطريف . ودخل البلد وأسارى الفـرنج على هيئة يوم
قراعتها . راكبة حصنها في طوارقها وبيارقها . وادراعتها . وقد
نكست بذودها واتعست اذوقها . وهيئت على هيئة فتوحنا حتوقها .
ووقف على العتبة الشريفة واستقبلها وقبلها . ثم عطف به الى دار
الكرامة فنزلها . وافى الوزير ابن حديبة قد عزل . وأقام في بيته
واعتزل . وتصدر في الدست للنيابة . وسماع الخطاب والاجابة . من
له المجد الاثير؛ الصدر الكبير مؤيد الدين صاحب ديوان الانشاء .
وقد خص بتولي الحل والعقد والاخذ والاعطاء . فتولى سماع
الرسالة وجوابها . وأولى صوبها ووالي صوابها . وسياتي في
موضعه ذكر ما انتهت اليه الحال . وجرى به القال . وكيف شغلت
العوائق وعاقبت الاشغال .

فصل مما كتبه في المعنى عن السلطان الى الديوان العزیز مع الرسول

قد تقدمت خدمة الخادم بما قدمه من امتثال المثال . وأداه من فرض
الاعظام والاجلال . وقام به من الامر الذي قام به أمر الدين
والدنيا . وبادر اليه من استثمار طاعته التي دامت لها من نعمة الدار
العزیزة في إزكاء مغارسها السقيا . وحل حبا الحب لما حل من
حباؤها . وعقد خنصر النصر لعزائمه على ما اعتقده من ولائها .
وجمع شمل السعادة الشاملة بما جمع أمره من إسعادها . واستجد
عهد الجد المورق المونق بما جاد ثراه من ثرات عهادها . ونهض من
الملك بتقديم ما قدمه على الملوك الناهضين . وأبرم من عقد عبوديته
الكاملة ما تقاصر عنه تطاول الناقصين الناقضين . ووثق لما وافق
المراضى الشريفة ففاز بما حاز من شرف الرضا . واقتضى بين الدين
الثابت وثبت على الوفاء في استيفائه بما قضى . وسبق الى ما سبق
به جواد صدقه في جواد قصده . وافتتح فريضة طاعته في حلاوة

عبوديته بتلاوة فاتحة حمده . وأنهى الى نهاية النهى . وأطاع ما أطاق فيما أمر الله به ونهى . وما وضع الكتاب من يده حتى رفع بالدعاء يده . وسأل الله لمولانا وسيدنا أمير المؤمنين وأقد النصر ومدده . وان يعضده بولده ولي عهده المطاع بأمر الله عدة الدنيا والدين . ويقر به عيون المسلمين . فقد فاضت البركات . وأضت الحسنات . وأضاءت الكرامات . وراضت جماح الاماني المبررات المبررات . وهاضت جناح الكفر الفتكات المربيات . وعمت الميامن . وتمت المحاسن . وتمت النعم الظواهر والبواطن . وضمت بسكون الدهماء اهلها المعاهد والمواطن . وصدحت المنابر . وصدقت المفاخر . وصدعت الأوامر . وصدفت القواقر . وصدمت قلوب أهل الذفاق من بواعث الرعب والبواعث البوادر . ونقشت صفحات الدرهم والدينار . ونعشت عثرات الاخيار الاحرار . وفرشت مفوقات الانواء والاذوار . وعرشت اسرة المبار والمسار . ورفعت رغبات الابرار . وسمعت دعوات الاسحار . ونزل النصر . وفضل العصر . ووجب الشكر . وشجب الكفر . ورحب الصدر . واصحب الدهر . وسحت سماء السماح . وصح ارواء الارواح . وتضوع نشر الانشراح . وتوضح صباح الصلاح . وطال جناح النجاح . وطاب جني الافراح . وعظم القدر . ونظم الامر . وحسن الذكر . وأمن الذعر . واهتزت اعطاف الاسلام . واعتزت اطراف الشام . وتبلجت ايا من الايام . وتروجت اماني الانام . وأرجت أرجاء الرجال . وثبتت باسناء الاسناد رواية أمالي ربي الامال . وقرت الأعين وابتهجت بالاسعد الطالع . وأقرت الألسن والتتهجت بالحمد الجامع . وقرت الأنفوس وانتهجت بوسعها سنن العز الواسع . ونابت هذه الموارد العذبة المشارب الصافية المشارع في ذفع الاوام (٣١) ونقع الانام مناب المنابع . وأرخت السير وسيير التواريخ . وخلقت ملطقات البشائر ليوجب تفخيمها وتضخيمها التضميم . وشرق المغرب من بشر البشرى . وانارت مصر من حسن هذه الحسنى . وبسمت بسمة الشرف منابر الأقصي والأداني . موافقة لمنبر المسجد الأقصى . وتطرزت الفتوحات الفاضل عصرها . الشامل نصرها بهذا المذهب المذهب . وفاحت في

مهاب المحاب نفحات هذا الزمن الأظهر الأطيب . وعاد الزمان الى
اعتداله . وعاد العدل بزمانه . وتاب الدهر من عدوانه . وأب إلى
احسانه . ورجع الدين إلى سناء سلطانه . وفجع الكافر بعبدة
صلبانه . وبطش الايمان بايمانه . واستخلص من الشرك بلدانه
بلدانه . وتقاضى الربيع بقروضه . وضافت ضيوف فيوضه . وعتب
العزم على ربوضه . وحض الخط . على نهوضه . وحث الحب على
اقامة ســــــــــــــــــــنن الجهــــــــــــــــــــاد وفــــــــــــــــــــروضه . فقــــــــــــــــــــد
درت افويق الأفاق . وذرت أشعة الاشراق . وافترت نضرة
الحدائق لنظرة الاحداق . وراققت أوراق الألوية كالتواء
الأوراق . وأزهرت البيض والسمر كازهار الرياض . وأنف غرار
الجفون في الاغماد من الاغماض . وتيقظت الاقدار للاقدار على
ايقاظ عيون البيض لاجراء دم الشرك المطول . وتنزل البركات في
انتجاع المراق من تجيع المارقين لا تزال نص النصر على النصل
المسلول . وقد أن ان ترعى الحشاشات منهم على رعي
الحشيش . ويطير الى اوكار المقل طير السهم المريش . وترتع
ثعالب العوامل في عشب الكلى . ويطن ذباب المناصل في لوح
الطلى . وترن رفاق المرهفات في الرقاب رنين الخطب على
الأعواد . وتذوب قلوب علوج الكفر من نار الرعب ذوب الذلوج على
رؤوس الأطواد . وتحمل اشجار القنا بثمر الهمام . ويجيش
الفضاء المعشب بزهر الجيش الهمام . ويقطف ورد الموت
الأحمر . من ورق الحديد الاخضر . ويوقف حد الهندي الأبيض
على قصر بني الأصفر . ويجري في ورد الوريد جــــــــــــــــــــد اول
البواتر . وترمي من الحصون العانيات الى حصون العدا جنادل
الحوافر . وتكفل بما وعد الله من الظفر الظاهر والظهور المضافر
ضوا من الضوا مر . وتتلى عقبان رايات الفتح والكسر من عقبان
الجو بالفتح الكواسر . ويعبق ثوب الدارع من ردغ الثواب بسهك
المادي . وتعلق في ملتقى التقى الفات السهمري . بلامات
السابري . ويظهر الحق بخذلان الباطل . ويحل بأيدي الأيد ما بقي
مع الفرنج من معاقل المعائل . ويفرق بحر المجر الجرار ما تخلف

من ساحات الساحل . فلم يبق به من المدن المنيعه الا صور
وطربلس . ومعالم الكفر بهما في هذه السنة المحسنة يعون الله
تدرس . وأما انطاكية فانها بالعراء منبوذة . وعند الاتجاه اليها
مأخوذة . على انها بوقم قومها عام أول موقوذة . وحدود العزائم
اليها عند انقضاء هديتها مشحونة . فانها قد نقصت من
اطرافها . ودخل عليها من اكنافها . وجذعت بفتح حصونها
عرانيتها . وضيق على أسدها وسيدانها المحصورة المشورة فيها
عريتها . فهي نهزه لمقترض . وطعممة لمقتنص . وسالعة
لمسترخص . وبلغه لمستفحص . وقد خرج الخادم ليدخل البلاد .
ويستأنف بجهده الجهاد . ويستقبل الربيع بربيع
الاقبال . ويستنزل ملائكة النصر من سماء الرحمة لأوقات
النزال . وهو يرجو ببركة هذه الأيام الزاهرة من الله ان ينجد جند
ارضه بجند سمائه . ويوفق الخادم لتصديق امه في تطهير الأرض
من انجاس اجناس المشركين بدمائهم وتحقيق رجائه . فالجافل
حافلة . واسراب الكفر بين يديها جافلة . ومعاطف الاسلام في
لباس الباس رافله . ونصرة الله بانجاز عداته في قمع عداته
كافله . والحمد لله الذي وفق عبد مولانا أمير المؤمنين في طاعته
لنصر أمره . وإخلاص الولاء في سره وجهره . واقتناء كل مذنبه
حقوق بها فضل عصره . وابتكار كل فضيلة سار بها حسن ذكره فما
يفتح مرتجا الا بتقليدها . ولا يستنجح مرتجى الا بتأييدها .

ذكر خروج السلطان من دمشق لاجل شقيف اردون وما جرى له مع صاحبه

وأقام السلطان شهر صفر في دمشق . وقد اصاب لناشق الآمال من نشره الذشق . ثم خرج منها في ثالث شهر ربيع الأول يوم الجمعة . بالمحبة المجتمعة والمهابة الممتنعة . متوجها الى شقيف اردون . ليقر بفتحه العيون . ويصدق في استخلاصه الظنون . وأتى مرج برغوث . وأقام به الى يوم السبت حادي عشر الشهر ينتظر من عساكره البعوث . ثم رحل على سمت بانياس . وقد اوقع رعبه بين اهل الكفر البأس . وأتى مرج عيون وخيم منه بقرب الشقيف . وجمع على من به من آلات الحصار اسباب التخويف . وذلك يوم الجمعة سابع عشر ربيع الأول في أواسط فصل الربيع . وأقام في ذلك المرج الوســــــــــــيع . والروض الوشيع . وأسمنا الخيل في اعشاب واصية . ورتعنا في الطاف من الله دانية غير قاسية . وكان الشقيف في يد صاحب صيدا ارناط . وقد أكمل في حفظه الاحتياط . فنزل الى خدمة السلطان لحكمه طائعا . ولأمره سامعا . ولرضاه تابعا . وفي موضعه شافعا . وعلى حصنه خاشيا ولأجله خاشعا . وسأل ان يمهل ثلاثة اشهر يتمكن فيها من نقل من بصور من اهله ، وأظهر انه محترز من علم المرکيس بحاله فلا يسلم من جهله . وحينئذ يسلم الموضع بما فيه . ويبدل في طاعة السلطان ومراضيه . ويخدمه على اقطاع يغنيه . وعن حب أهل بيته يسليه . فساكرمه وقربه . وقضى اربه . وأجابه الى ما سأله . وقبل منه عزيز ما بذله بذله . وأمهي (٣٥) عرب رغبه وأمهله . وأخذ له وما خذله . وخلع عليه وشرفه . ورفعه في نايه بندااه وعرفه . واقتنع بقوله ولم يأخذ رهينه . ووجد اليه سكونا وعنده سكينه . فشرع ارناط في ازالة حصنه ، وازالة وهنه . وتــــــــــــرميم مســــــــــــتهدمه . وتتميم مستحكمة . وتوفير غلاله . وتوفية رجاله . وتديبر احواله . وتكثير امواله . ونحن في غرة من تحفظه . وفي سنة من تيقظه . وفي غفلة

من حزمه . وفي غفوة من عزمه . وكان يبتاع من سوق عسكرنا الميرة . ويكثر فيه النخيرة . وقد صدقنا كذبته . وحققنا اربه . وانهي الى السلطان ما هو مشغول به من عمارة يجدها . ونخيرة يعدها . وثلثة يسدها . وقوة يشدها . وميرة يستمدتها . وكان بالمذكور سيد الظن . شديد الضن . لا يقبل ما فيه يقال . ولا يظن به عثورا يقال : فلما كثر فيه القول . وتمكن من مسألته العول . لم يرد ان يبدي له ما قيل . ولم يصدىء بالتغير عليه وجه جاهه الصقيل . فأمر بالانتقال من المرج الى سطح الجبل . وتحويل الخيم اليه والذقل . وذلك ليلة الجمعة ثاني عشر جمادى الآخرة وأظهر ان المرج وخيم . والمقيم به سقيم . وأم الدهر فيه بالصحة عقيم . وكان المقصود ان الشقيف من عيانه يقرب . واخباره عنه لا تعزب . فلما علم صاحب الشقيف بقربه . شرع في ازالة ما في قلبه . وجاء الى الخدمة . واستمسك بالعصمه . وذكر انه متعزز بذل الطاعة . وبذل الاستطاعة . وتضرع خاضعا . وتعرض خاشعا . وذكر انه تخاف له اهل بصور . وانه كان زمان غيبته يرجو منهم الحضور . وانه يترقب وصولهم . ويأمل عنده حصولهم . وشرع في تقرير هذا الحديث . وتمهيد عذره فيما يتوهم من عهده الذكر النكيث . واقام يوما وعاد الى حصنه . وقد وجد من السلطان دلائل امه . وكانت المدة قد ننا انتهاؤها . وقرب انقضاؤها . فانها الى آخر هذا الشهر . ولم يجد بدا من التسليم او الغدر فعاد بعد ايام . باكتتاب واغتمام . وحضر عند السلطان فقال ما اظهر به الابتغال . واستزاد الامهال . وذكر انه رقيق الامتنان . وعتيق الاحسان وانه العبد القن . وقد دخل عليه الوهن . وغلق به الرهن وانه يبقي أهله معتقلين بصور إن خرج منه الحصن . ومن انشأ غرسا سقاه فأبقاه . وأشكاه فأزكاه . وأسماه فانماه وقد اصطنعتني ورفعتني فلا تضع الرقيق . ولا تضع الصنيع . وسأل ان تكون المده سنه . وان يتبع الحسنة في حقه حسنه . وان يرخي بطوله طوله . وان يشفي بشفاء ألمه ألمه . فراقه قوله . فرق له طوله . ثم افكر في أمره . واستمر في فكره . فغادر على عزيمة

غدره . وجاهر بسر شره . بعد ان ماطله وطاوله . وزاوله على ما
حاوله . وأقام اياما يريده . ويخصه من الكرامة بما يجده . ثم
كشف له الغطاء . بعد ان أجزل له العطاء . وقال له قد قيل عنك ما
لا نظنه فيك ولا نعلمه منك . فجد ما عنه رقي . وانه كيف يلقى
بالكفران ما من الانعام لقي . وأنه لم يسعد بامهاله في الشقيف
شقي . ثم سأل في ندب من يوثق بأمانته . ويؤمن الى
وثاقته . ليدخل الموضوع ويلمحه . ويحضر بوصف ما شاهده
ويشرحه . فرجع المندوبون بخبر ما أبصروه . وذكروا أن الحصن
قد غيروه . وانه قد استجد في سورة باب . واستمدت له من احكام
احكامه اسباب . فاستحكم به الارتياح . وعرف ان السرح قد
حوته الذئاب . فوكل به وحفظ من حيث لا يعلم . وقيل لعله يحسن
فلا يدوج الى عقابحته ويسلم . ثم قيل له قد بقي يومان من المدة
المضروبة . والمهلة الموهوبه . فتقيم عندنا حتى تنتهي المدة
وتنقضي . وتسلم الحصن وتسلم وتمضي . فأبدى ضرورة
وضراعه . وقال سمعا وطاعة . وكان له ماقي وملق . وفي لسانه
زلق . وما عنده من كل ما يفرق منه فرق . وقال انا انفذ الى نوابي
في التسليم . وهو قد تقدم اليهم بالوصية والتعليم . فأظهروا
عصيانه . وقالوا يبقى مكانه . فقال قد بقي من المهلة يومان فماذا
العجلة التي يفوت بها الغرض . ويطول منها المرض . فصبر عليه
الى يوم الأحد ثامن عشر جمادى الآخرة وهو آخر مدته . وأول
شدته . وأوان انقضاء عدة عدته . وقد رتب على الشقيف يرك يمنع
الخروج والدخول . والصعود والنزول . ويضايق غريمه
المطول . قبل ان يمتد حصاره ويطول . وحمله جماعة من الامراء
ووقفوا به ازاء حصنه . فناداهم في درك امره . وفكاك
رهنه . فخرج اليه قس قاس . بأسرع باس . فصادته في حادثه
بلغته . وناقته في كارثه بغلته . وتجاوزا في السر . وتشاورا في
الشر . وكأنما امره بالتجلد . وصبره على التشدد . وعاد القس
الشقي الى الشقيف . وترك صاحبه عانيا بالعناء العنيف . فقيد
وحمل الى قلعة بانياس . وبطل الرجاء فيه وبان الياس . ثم
استحضره في سادس رجب وهدده وتوعده وبالغ في تخويفه . على

ان يبلغ المراد في شقيفه . فلمالم يفسد خطابه . ولم يجد عذابه . سيره الى دمشق وسجنه . وألزمه شجاه وشجنه . وتحول السلطان من مخيمه الى اعلى الجبل يوم الأربعاء ثامن رجب لمحاصرة الحصن . ورتب له عدة من الأمراء . وامرهم بملازمته في الصيف والشتاء . الى ان تسلمه بعد سنة بحكم السلم . وأطلق صاحبه وأجرى عليه حكم الحلم .

ذكر ما تجدد للسلطان مدة المقام بمرج عيون من الاحوال وماكان من غزواته ونهضاته ووقعاته في حرب الفرنج والقتال

اجتمع من كان سلام من الفرنج ونجا على ملكهم الذي خلص من الأسر ، وقالوا نحن في جمع جم خارج عن الحصر . وقد تواصلت الينا امداد البحر . فثربنا للثار ، وأعرنا من هذا العار . وجاء من كان بطرابلس وخيموا على صور . وفارقوا بالاستطالة القصور . وجرت بين المرکيس المقيم بهما وبين الملك مراسلات . وحالت بين اتفاقهما حالات . فلم يمكنه من دخول البلد . ولج معه في اللد . واحتج بأنه من قبل الملوك الذين من وراء البحر . وانه منتظر لما يبرمونه من الأمر . ويصله من الأمر . ثم اتفقوا على ان يقيم بصور المرکيس . ويدوم منه لملكهم التأسيس وملكهم التأسيس . وانهم يجتمعون على حرب المسلمين وقتالهم . يتساعدون علي رم ما تشعث من احوالهم . ويتعاقدون على حل اشكالهم . ويتعاضدون في تسديد اختلالهم . ويقصدون بلدا اسلاميا من الساحل . ويقيمون عليه بالذوازل اقامة المنازل . والمرکيس يمدهم من صور بالمدد بعد المدد . وبجميع ما يحتاجون اليه من الميرة والاسلحة والعدد . فأجمعوا على هذا الرأي . وبلغوا في الغى الي هذه الغاي . وشرعوا فيما شرعوه . وفرعوا ذروة الاصل الذي فرعوه . ووصل الخبر يوم الاثنين سابع عشر جمادى

الاولى من اليزك . ان جمع الفرنج قد نهض كالليل المعتكر الى المعتك . وانهم على قصد صيدا للحصر . وقد جسروا على عبور الجسر . فركب السلطان في الحال فيمن خفف من ثقال الرجال واقتال القتال . واطلاب الابطال . وانجاد الاجناد . واجلاد الجلاد . والباذلين المهج للجهد في الجهاد . ووصل الى الملتقى والشغل قد فرغ . والسيل قد بلغ . والصدمة قد وقعت . والوقعة قد صدمت . والثورة قد ناثارة . والسورة قد اسأرت . فان اليزكية لما شاهدهت جساهدت . وتعمساقدت علي لقــــــــــــــــائهم وتعاضدت . وخالطتهم . وباسطتهم . وواقحتهم وواقعتهم وجالدتهم وجاولتهم وحصاردتهم وحصاولتهم وردتهم مقلولين مخذولين . وصدتهم منهزمين مثلومين . وقسرتهم وكسرتهم واسرت سرائهم . وبزت بزاتهم . وقنصت عقبانهم . وقصمت شجعانهم . وصادت صيدهم وفرست فرسانهم . ووقع في الاسر من سباعهم سبعة . وغودرت للنسور من اشلاء المارقين بالمازق شبعة . واستشهد من المماليك الخواص ابيك الاخرش . وقد كان شهما بالوقائع يتحرش . وثبتا بالروائع لا يتشوش وانيسسا بالحوادث لا يتــــــــــــــــودش . وكما كمدشسا بالكوارث لا ينكمش . وانفصلت الحرب قبل وصول السلطان . وكانت الدائرة على اهل الشرك والطغيان . وعاد السلطان الى خيم ضربت له بقرب اليزك . وقال لعلهم يعودون الي ذلك المعتك . فذستدرك ما فرط من استئصالهم واجتثاثهم . وقد ندم الفرنج على ما ندر من اجترائهم وانبعائهم . واقام الى يوم الاربعاء تاسع عشر الشهر . والاسلام بقوة ظهوره على الكفر قوي الظهر . وركب في ذلك اليوم . ليطلع من الجبل على القوم . ولم يكن له نية القتال . فلم يستصحب معه من يستظهر به من الرجال . وتبعه راجل كثير من غزاة البلاد بغير علمه . وظنوا ان السلطان انما ركب للقتال وعلى عزمه . وكان الفرنج قد بصروا بالراجل فطمعوا فيه . ثم ظنوا ان وراءه عسكرا في الكمين يحميه . ونفذ السلطان بعض الأمرء الى الغزاة الرجالة ليعودا فما قبلوا . وحمل عليهم العدو فأسروا وقتلوا . وختمت بشهادة اولئك السعداء تلك العشية . ونفذت من الله في استشهادهم

المشية . وحمل الحاضرون من الامراء والعسكرية على الفرنج حملة
اردتهم وردتهم . وصدقهم عن الجراءة وصدتهم . وتزاحموا على
الجسر . ففرق منهم زهاء ثمانين في النهر . وكان يوما علينا
ولنا . جنى المنا واجنى املنا . والحرب رجبال . والحرب
سجال . ولم يكن لأولئك الغرباء بقتال الفرنج دربه . واقدامهم على
العدو لله قربه . فخاضوا من الدم في اللجج . واعتاضوا الجنة من
المهج . وممن لقي الله بالشهادة . وختم له بالسعادة . الامير غازي
ابن سعد الدولة مسعود بن البصارو . وكان شابا لنار الحرب
شابا . ولدين الرب رابا . ولما شاهد ما تم من الغزاة . انقض في
اصحابه على الفرنج انقضاض البزاه . فدعته جنته . الى طعنة
لبتها لبتة . فاحتسبه عند الله والده . وكدرت عليه موارده . وأوجد
جمعنا الأسي على فقد ذلك الواحد . وساء عدم الساعد . وبتنا نشكر
مساعي ذلك المساعد . وضافت القلوب . وفاضت الكروب . وألم
البوس . وألمت الذفوس . وهذه وقعة ندرت . وواقعة بدرت .
ونذير حدث وحادثة اندرت . فلم يصب الكفار من المسلمين مذ
اصيبوا غير هذه الكرة . واذاقونا بعد أن حلا لنا جني الفتوحات
مرارة هذه المرة . فايقتنا من رقدة الفرة . وأخذ الناس
حذرهم . ونذروا وعقدوا على الانتقام نذرهم . ثم رجعوا الى الله
وقالوا بهذا وعد الله حيث قال : (فيقتلون ويقتلون) (التوبة ١١١)
وعبادته هم الذين يتبعون امره ويمتثلون . ثم قويت عزيمة السلطان
على قصدهم في مخيمهم . وكبسهم في مجثمهم . وعبور الجسر
اليهم . والاحداق بهم من حوالهم . وشاع صيت هذا العزم
وصوته . وسارع الناس الى موسمه . وخشي فوته . وتسامع اهل
البلاد . بتصميم عزيمة الجهاد . فتباشروا وتبادروا . وتسابقوا
وتسارعوا واتوا من كل فج . وجاءوا من كل نهج . وسالوا في كل
واد . وجالوا في كل بقاع ووهاد . ووافت مطوعة دمشق
وحوران . يجرون الى مرالموت . ويجرون الماران . وتوافد من بالمرج
والغوطة . على الحالة المغبوظة . وقالوا هذا اوان احضار الضوامر
المربوظة . واجتمعت بمرج عيون . جموع مرجت العيون . فخافت
الفرنج من هذا الجمع . واناقت على القمع . وتعكست الى سور

صور . وعابن اولئك البور البثور . وتحرزوا وتحرسوا . وتوجلوا
وتوجسوا . فاقتضت الحال تأخير قصدهم . ليتمكن على غرتهم
حشدنا من حصدهم . وعاد العسكر الى المخيم وسار السلطان الى
تبنين . صبيحة يوم الخميس السابع والعشرين . لتفقد
احوالها . وتأمل اعمالها . وعرض رجالها . ثم سار منها الى عكا
جريدة . ورتب في عمارتها وولايتها احوالا سيدة . ووصى رجالها
بالاحتياط والتحفظ . والاستظهار والتيقظ . واسرع عودته الى
المعسكر . عظيم المفخر كريم المعشر . — فوق المورد
والمصدر . مقرظ المنظر والمخير . وأقام الى يوم السبت سادس
جمادى الآخرة . وبحر مخيمه يموج بامواج العساكر الزاخرة .

ذكر ما تم من استشهاد عدة من امراء العرب

وانتهى الينا ان الفرنج ينتشرون في الارض . وينبسطون في
موضع القبض . ولا يتحفظون في الرفع والخفض . ويحتطبون
ولا يحاطون . ويحتشون ولا يختشون . ويجذون ثممار
الحيل . ويجذون على ما يصادفونه بانواع الغيل . وهم في غرة من
غارهم . وفي جسارهم تعود عليهم بخساره . وفي غفلة تجر
عقله . وفي ضله ترفع عليهم من العذاب ظله . وانهم اذا خرجوا
للاحتشاش والاحتطاب . وانتشروا لضم الاعشاب من
الشعاب . خرجت وراءهم خيل تلحظهم على بعد . وتحفظهم من
متعد . ونفذ السلطان الى خيل تبنين . وامرهم بأن يصبحوا اولئك
الملاعين . فاذا خرجت الخيل اليهم تطاردوا قدامها ووصلت بها
الكمين . وذلك يكون في صباح الاثنين ثامن الشهر
المذكور . وواعدهم على هذا السر المستور . ونفذ الى عسكر عكا
ليكمن في موضع عينه . ولا يظهر مكمنه . حتى يكون من وراء
القوم . مستعدا لما ينالهم من الوقم . وسار السلطان ليلة الاثنين
على الموعد . مصدقا للمقصد . وصادف خيل تبنين قد اغارت واثارت
وابرت وابارت . فعبر تبنين وكمن بين صور وبينها . وعين اليزكية

وأوقف عينها . ورتب ثمانية اطلاب من الابطال . وكمن بتلك الارحاء كمامة الرجال . وانتخب من كل طئالب عشرين فارسا اجوادا على الجياد . واجلادا في الجلاذ على الجلاذ . فامرهم بان يتراءوا للفرننج حتى تصل اليهم وتحمل عليهم . وهم يفرون قدامها . ولا يقرون امامها . ويجذبونها الى قرب الكمين ويوقعونها عليه . ويواقعونها اذا حصلت بين يديه . ففعلوا ما به امروا . ولما حملت عليهم الفرننج ثبتوا وصبروا . وانفوا من ان يقال عنهم فروا . بل جالوا فيهم وكروا . واتصل القتال واشتد . واحتدم المصال واحتد . وطال زمان الحرب وامتد . وطارت جمرات الصفاح . وفارت غمرات الكفاح . وثارت غبرات البرى . ودارت عثرات الثرى . وانحلت عرى اللمم . وانحطت ذرى القمم . وعدم كل قرن قراره . وكل جفن غراره . ودام نهارنا يجري بانهار الدم انهاره . وعرف من بالكمين ان الحرب قد اشتبكت وان الاستد قد اعتركت . وان البرك قد ارتبكت وابتركت . فتواصل انجادا للانجاد . وتراسل امدادا بعد الامداد . فلما رأى العدو ان المدد يكثر والعدد يكثف . وان عساكرنا لا تتوقى ولا تتوقف . صمم العزيمة . على الهزيمة . وعلم ان النجاة عين الغنيمة . فثنى اعطافه . وضم اطرافه . ورد احلافه . وجرت بين الفريقين مقتله . عادت ارض المعركة بها وهي مثقلة وكان قد حمل العرب على وعد العود الى الكمين . والرجوع الى اسد ذلك العرين . ولم يكن لهم بالطريق خبرة . ولا عبرت من الطوارق بهم عبره . فتطاردوا بين يدي الفرننج في واد ما له نفاذ . ولا لسالكه الى منهج ملاذ . وراهم العدو فعدا وراءهم . وسار بجمعه ازاءهم . فلما انتهوا الى الجبل ادركوا . ولم يقدروا ان يسلكوا . فقاتلوا حتى قتلوا . واقبلوا على الله فقبلوا . وهم الامير زامل بن تبل بن مرى بن ربيعة امير النقره . وسري الاسره . والامير حجي بن منصور بن دغفل بن ربيعة . والامير مطرف بن رفيع بن بردويل بن مرى بن ربيعة وآخر معهم . فهؤلاء اربعة من ربيعة بنيت لهم في جنة الخلد ربوع . وقدر لهم في رياض النعيم ربوع . وفازوا بالنعيم ونعموا بالفوز . وانتقلوا من العز

الفاني الى الباقي من العز . وكان معهم من المماليك الخواص . من ذوي الجد والاخلاص . تركي عربي النخوة . غضذفري السطوة . فلما حصل في المضيق . وأيس من الطريق . نزل عن فرسه على صخرة بنحوه . ونثّل بين يديه كنانته . فارعا لذروه . وقد اوتر قوسه وسدد اليهم سهمه . وقبل قضاء الله وحكمه . وحن الى منيته من حنيته . واصاب منيته من اصماء العدو في المصاب بامنيته . فوقفوا عنه بعيدا حين خافوا قربه . ومازالوا يطعنونه ويرموناه حتى ظنوا انه قضى نحبه . فأصبح . وقد نزل قدمه ، وترجع على وجوده عدمه ، ولما قيل انه استشهد وطلب ليلحد ، رمق وبه رمق ، وهو في دمه غرق ، فحمل على أنه من الأموات ولم يرج له فوات الوفاة ، فأحياه الله بعد ان أماته ، وجمع أعضائه عليه وقد شارف منها شتاته ، وأنشأه خلقا جديدا ، وأوجده في أجله مزيدا ، وهو أيبسك الساقى زاده . ماجرى اجترأ على الاقدام ، واجراء الى مضمار الحمام ، فما سمع بعد ذلك هيعة الا طار اليها ولا أبصر للكفر ضيعة الا أغار عليها .

ذكر مسير الفرنج الى عكا والنزول عليها ورحيل السلطان قبالتهم اليها

وصل الخبر يوم الأربعاء ثامن رجب ، ان العدو قد ركب ، وأجلب بخيله ورجله ، وطار بجراد جرده . ودب دباه في رجله ، وسرحت نئابيه ونجت كلابية ، وجاش عرام جيشه العرمرم ، وطاش الى أهل الجنة بأهل جهنم ، ونوى القرب من النواقيير ، وأضرم بنار السعير مساعي المساعير ، وهو على قصد عكا يجري الى المدى برأي جمعه المدامير ، وأن نذرا منهم نذر ، وسبق الى النواقيير وعبر ، ونزل باسكندرونة ، واستباح طرقها المصونة ، وهناك من المؤمنين رجال يجمعون طرف الثغر ، ويضمون نشر الأمر ، ويضمون نحر الكفر ، ويجبون غارب

الشر ، ويجوبون جانب البحر ، ويطوفون الحراسة ، ويطولون بالحماسة ، فلما رأوا مقدمة الفرنج واقعوها ودافعوها وعاقروها وقسارعوها ، وأهلكوا عدة وملكوا عدة ، ولما تكاثرت أعداد الاعداء ، استظهروا بالانكفاء عن الأكفاء ، وتدافعوا بعدما دافعوا ، وتراجعوا بعد مراجعوا ، واطلع السلطان على خبرهم وعرف نفور نفرهم ، فكتب الى العساكر الدانية بالذو ، وللعدو على العدو فتوافدوا للميعاد ، وتوافوا للاعتضاد ، وتوفروا للجهاد ، وتوافقوا في ابناء المراد بابعاد المراد ورحل الفرنج ثاني عشر رجب يوم الأحد ، وافية المدد . وافرة العدد ، ونزلت على عين بصة ، واقد شاهد دركات جهنم من شاهد تلك الرحاب المغتصة .

ووصلوا الى الزيب . واجابوا داعية الصليب ، فاصبح السلطان يوم الاثنين على الرحيل ووصل العنق بالذميل . وكان الذقل قد سار من الليل وجرى على طريق الملاحنة في الاودية جري السيل ، وسرنا على جب يوسف الى المنية ، أخذين بالحزم تاركين للونية . وجئنا عصر يوم الثلاثاء والسلطان نازل بأرض كفر كنا ، وبتنا بها تلك الليلة وسكنا ، ثم اصبح يوم الأربعاء خامس عشر الشهر ونزل على جبل الفروية . واطلع منها على الاسرار المحجوبة ، واشرف على العدو النازل ، ودنا حزب الحق من حزب الباطل ، وكان عدة من الأمراء ساروا على طريق هونين ، والفرنج مقابلين مقاتلين ، فوصلوا في هذا اليوم وقد نالوا في طريقهم من القوم ، ونزلنا في ارض صفورية بالانفال ، وتجرد الرجال منها الى المخيم السلطاني للقتال ، وكان من رأي السلطان عند رحيل الفرنج على قصد عكا ، ولم يزل رايه بنور فطنته وطيب فطرته أذكى وأزكى ، ان يسايرهم في الطريق ، ويواقعهم عند المضيق ويقطعهم عن الوصول ، ويدفعهم عن النزول فانهم اذا نزلوا صععب نزالهم ، واتعب قتالهم . واذا نبتوا تعذر حصدهم ، واذا ثبتوا تعسر قصدهم . واذا لصقوا ببطن الأرض صاروا كالجراد ، واذا خلقوا في جو الدوطاروا كالجراد ، فعند الانتشار يمكن التقاطهم وعند الانحصار يتمكن احتياطهم . فقالوا له بل نستقيم على السنن

القويم ، ونطلبهم طلب الغريم ، وما هون قطعهم اذا وصلنا واعجل ادبارهم اذا اقبلنا ، والطريق قبالتهم وعر ، وللمقصر عن التطاول فيه عذر ، فمضي على اسهل الطرق ، ونسد فلقهم بالفيلق ، وتبين لنا بالعافية ان الراي السلطاني كان اصوب فان نزالهم عند نزولهم صار اصعب ، ونزل الفرنج على عكا من البحر الى البحر ، محتاطين بالانحصار . محيطين بها للحصر . وضرب الملك العتيق كي خيمته على تل المصلية ، وربطت مراكبهم بشاطئ البحر فكانت كالأجام المؤتشبه ، وبعث السلطان ليلة وصوله الى مدينة عكا بعثا يدخلها على غرة من العدو ، وتواصلت البعوث اليها التي هي على التزايد والنمو ، حتى استظهرت بقوتها . وقويت باستظهارها . فلما اجتمعت العساكر . واتصلت بالاول والآخر . كهي جيشه طلبا طلبا ، وميمنة وميسرة وجناحا وقلبا ، وسار بهيأته وهيبته ، وانزل العسكر على تعبيته ، ونزل بمرج عكا على تل كيسان في ذوي اختصاصه ، وقد نصب من خيامه عليه اشراك اقناصه ، وامتدت الميمنة الى تل العياضية والميسرة الى نهر الماء العذب ، فدارت رحى الحرب ودام كركب ، وطاب طعم الطعن والضرب ، وطافت كأس البأس بمدام الدم على الشرب ، ووافى للأنجاد عسكر الشرق ماضي الغرب ، وصرنا محاصرين للمحاصرين مكابرين للمكابرين ، قد احاطنا بالعدو وهو وبالبلد محيط ، واستشطننا منه وهو مستشيط ، واحدقنا بأولئك الكفرة احاطة النار بأهلها ، ومنعنا الطرق من ورائهم في وعرها وسهلها ، ورتبنا بالزيب والنواكير رجالا يصدونهم عن سبلها ، ودمنا نصابهم بالقتال ونماسبهم ، ونراوهم ونغالبهم ، ونعاوهم ونباسبهم ، ونقدم بعوايننا على عوابيهم ، ونصدهم ونصدمهم ، ويوجدهم البحر ونعدمهم ، وما زالت مراكبهم تتواصل . ومناكبهم تتطاول ، وأهل الجزائر من أهل الجزائر متوافرون متوافدون ، مترادفون مترادفون ، قد لفعوا وجه البحر بنقب السفن ، وجذبوا بالقلوس على ثجبه عران الرعن ، والقوا على تياره بسط البطش . وحملوا على البحر أوزار النجس . وتبالهم وتعسا . فانهم زادوا على

رجسهم رجسا ، وبقي القتال بينهم وبين اليزكية ، كل بكرة الى العشية ، الى أن وصل الملك المظفر تقي الدين عمر ، ومظفر الدين كوكبوري الأسد الغضنفر ، فاستظهرنا بهما وبمسكرهما الدهم ، ووصل مقدموا الرجال في الجمع الجم ، واستدارت الفرنج بعكا كالدائرة بالمركز ، وزادوا من جانبنا في التحرس والتحرز ، ومنعوا من الدخول والخروج ، ولج أولئك العلوج في ضبط طريق الولوج ، وذلك في يوم الأربعاء والخميس أضر رجب لانسلاخه ، والاسلام ينادينا باستصراخه ، وأصبح السلطان يوم الجمعة مستهل شعبان وقد استهلكت راياته ، واستقلت آياته ، وعز عزمه ، وعلا حكمه ، ومامنا الا من اسرج الجرد وجررد السريجات ، وعاج بالاعوجيات . واشرف بالمشرفيات ، وبرز باعتقال الرينييات ، ورببان العقيليات ، وأزكى المذاكي وقرب المقربات ، وقد سن سنان لئنه ، وجن جنان قرنه ، وساف سيفه رذع الدم ، وضاف جوده مضيف العدم ، وأقبلنا والنصر مقبل ، والظفر متهلل ، والميمنة والميسرة باليمن واليسر ممتدتان ، والقلب له من التأييد والتمكين جناحان ، واتفقت الآراء واجمع الأمراء على أن يكون اللقاء وقت صلاة الجمعة ، عند قبول الدعوات المرتفعة ، ومناب منابر الاسلام عن أهله في جميع بلاده ، واجماع الالسنه والقلوب في الضراعة الى الله في نصره المجاهدين من عباده ، وأحاط العسكر الاسلامي بجوانبهم ، وكدر عليهم صفو مشاربهم ، وقلل مضاء مضاربهم ، وهم في مواضعهم واقفون . وعلى مصارعهم عاكفون ، وفي مواطنهم ثابتون وعلى مواطنهن ثابتون كالبنيان المرصوص مافيه خلل ، وكالحلقة المفرغة ماإليها منخل ، وكالاسور المحيط ماعليه متسلق ، وكالجيل الأشم مافية متعلق ، فزحفنا اليهم فلم يبرحوا وقربنا منهم فلم ينزحوا وحملنا عليهم فأخذوا الضربة ولم يعطوها ، وأنخنا لهم مطايا المنايا فهان عليهم ان يمتطوها ، ودامت الحرب قائمة ، وبيمة الدم دائمة ، وكلما قتل واحد وقف آخر مقامه ، وخلف نظامه حتى نخل الليل وحجز ووعد النصر مانجز ، وحزب الحق ماعجز . فأصبحوا يوم السبت على الحرب كما امسوا . وزادوا على ماجرى امس

وأهلوا عنه وأنسوا ، فما طلعت شمس الظهيرة حتى طلعت شمس
الظهور ، واصبحت شمس الجمهور ، واستضاف نورها مستفيض
النور ، وحمل الناس من جانب البحر شمالي عكا حملة شديدة ،
كانت لمن قدامهم من الفرنج مييدة ، وفرشوهم على تلك
التل ، وردوا مضاربهم من فلهم بادية القل ، وانهزم الفرنج الى
تل المصلية نحو القبلة ، وثبتوا عند الوثبة ، وأخلوا ذلك
الجانب ، وخلوا تلك المذاهب ، وقلعت خيامهم . وقطعت أطماعهم
عنها ، وانفتح لنا طريق عكا . وبخلها الرجال . وحملت إليها
الغلال ، ونقلت إليها الأحمال ، وبخل العسكر إليها
وخرج ، وانشكف ضيق حصرها واطلع السلطان على الفرنج من
سورها ، وشرع في تدبير أمورها ، وخرج عسكر البلد للموازرة على
قتال العدو العادي ، وترك الهوالة في قصر القصر ، والهواوي
والفرنج قد رهبوا ، ولو قدروا هربوا ، ولكن اصحابنا رأوا أن
انفتاح باب البلد غنيمة ، وانهم أي وقت ارادوا كانت منهم غزيمة .
ومن العدو هزيمة وتوقفوا على الاتمام ، وتقدموا عن مقام
الاقدام ، ولو أنهم استمروا في الحرب على هياتهم وهيبتهم ، لباء
الاعداء لنجحنا بخيتبهم ، فان الصدمة الأولى أخافت
وحافت ، ونافت بقاء القوم وعلى هلكها انافت ، ولكننا تركناهم
حتى عادت اليهم الأرقام ، وعاود فرقههم الافراق ، وابصروا ما بين
ايديهم وما خلفهم . وازالوا فيما بينهم بالموافقة خلفهم . واثبتوا في
مستنقع الموت ارجلهم . وراوا أن الوقت قد أمهلهم . وقال أمراؤنا
هؤلاء قد سهل امرهم ، وخمد جمرهم ، وقد حص رياشهم
حصرهم ، وهم في قبضتنا اي وقت اردنا ، ولقصدهم
تجربنا ، وقالوا نصبر الى الظهر ونمضي ونسقي الخيل ونعود
وحينئذ يشتغل بهم العدم ويفرغ منهم الوجود . فانصرفوا على
وعد العود ، وتفرقوا في مراتعهم تفرق الذود . وبلغ العدو ريقه ،
ووجد الى الجلد طريقه وجمع بعد التفرق فريقه ، وضم عن الانتشار
راجله ، وزم رامحه ونابله ، ووقفوا كالسور من وراء الجنويات
والتراس والقنطاريات ، وقد صوبوا الجروح وفوقوها ، وجمعوا
العدو وعلى الرجال فرقوها ، كأنهم في الدروع أراقسم ، وفي المجان

علاجهم ، وفي النهوض قشاعم ، وفي الضراوة ضراغم ، واختالفت الآراء مع العلم باحتراسهم وتسترهم بتراسهم ، فمننا من يقول نصبحهم بالزحف ، ونزورهم بالحتف ، ويترجل الأمراء فيتبعهم الأصحاب . وتتشب من أسادنا في تلك الخنازير من الذشاب الأظفار والأنياب ، ويتصل الطعان والضراب ، فننسفهم ولو أنهم جبال ، ونطفىء نيرانهم فلا يقد لهم من بعدها ذبال .

ومنا من يقول يدخل راجلنا الى البلد . مستعدا بالاهب متأهبا بالعد . فاذا زحفنا اليهم . واوقفنا عليهم . خرج من في البلد من العسكرية والراجل . ونازلناهم من امامهم ومن ورائهم بالذوازل . فلا تطرف لهم بعدها عين . ولا يبقى للدين يعد درك الثار منهم بين . ومنا من يقول لابل نفرج عنهم . ونبعد منهم . فما دما على هذه المضايقة والمصابرة . والمحاققة والمحاصرة . والمكابدة والمكابرة . فانهم يتيقظون وينتبهون . ويتحفظون ولاينهمون ويتحرزون ويتحربون ويتوجلون ويتوجمون . فاذا ارخينا طولهم واوسعنا املهم . استرسلوا بعدما استبسلوا . واستقبلوا الدعة بعدما ما استقلوا . واطمانوا فطمعوا ، واذا ابطأنا تسرعوا واغثروا باننا على غرة فأغاروا . وظهرت لهم اثار ركوبنا عنهم فظهروا وثاروا . فحينئذ حينهم يحين ، وشينهم يشين . واذا ظهروا ظهرنا عليهم . ومتي اصحروا اصحرونا اليهم . وان بارزوا بارزناهم . وانجزنا عدة امانينا فيهم وناجزناهم ومنا من يقول : هؤلاء في عدد النمل . وكثرة الرمل . وظلام الليل . وعرام السيل . فما يقمهم الا العدد الكثير . ولا يقمهم الا الجمع الجم الغفير . والمصلحة ان نستنفر العساكر ونستحضر لايادتهم البسادي والحاضر . ونستجيش الحماقل ونستثير الفارس والراجل ونلقاهم بامثالهم ونقدم عليهم مستظهرين في قتالهم . وازوادهم عن قريب تفرغ . وامادهم في الصبر تبلغ . وامدادهم تنقطع . وانجادهم تمتنع . وموادهم تقل . وجوادهم تضل . ولراكبهم في الشتاء شتات . ولحبائلهم وحبالهم انبتات ، فاما ان يضطروا الى الانفصال . واما ان يؤنن فناء ارزاقهم بحلول الاجال . ويهون علينا

حربهم في تلك الحال . (وكفى الله المؤمنين القتال) . (الاحزاب ٢٥)
فهذا عسكر الاسلام . وجند مصر والشام . وفي الاقدام به خطر .
وفي المباشرة بحربه غرر . والمصلحة العامة تلحظ . ورأس المال
يحفظ ومنا من يقول نستدعي من مصر الاساطيل ونستدفع بحقها
الاباطيل . ونستكثر من مراكبها . ونستعدي على هذه الافاعي
بعقاربها . ونستطيل على الشنأة المستطيلة بشوانيتها . ونعدو على
عوادي الاعادي بعوانيتها واذا وصلت وقطعت عليهم طرق البحر .
وصلت لنا اسباب النصر . وحينئذ نقاتلهم برا وبحرا . ونوسعهم
بمضايقتهم فيهما قتلا واسرا . ومازالت هذه الاراء بيننا متداوله .
وخواطرننا في تدبيرها متجاولة والحرب بيننا وبين الفرنج جاريه
وزناد الهيجاء لاشعال نارها واربه . وفي كل يوم نتصافح
بالصفاح . ونتكافأ بالكفاح . وننطق فيهم بكلام الكلوم . ونلحق
منهم الموجود بالمعدوم . وللطلائع وقائع . وللاسهام افواق فاذقة .
وللحمام اسواق نافقة . وسرايانا في كل يوم وليلة تسري وتأسر .
وتبري وتأبر . وتكبس وتكسب . وتسبي وتسلب . والسلطان يباشر
ذلك كله بنفسه . وهو يدأب في يومه لغده مجتهدا في الزيادة على
امسه نائبا عن اعوان المسلمين وانصارهم . ساهرا لهم في ليلهم .
قائما بأمرهم في نهارهم . والعين الساهرة في سبيل الله
قريره . وتعب يوم واحد لله في اليوم الاخر نخيره

ذكر وقعة تمت يوم الاربعاء سادس شعبان

وركب الفرنج اخر يوم الاربعاء سادس شعبان بأجمعهم . وتقدموا
من موضعهم . واشتاقوا إلى مصرهم . وفارقوا الحزم في
تسرعهم . وخرجوا عن رجالتهم . وتجردوا بخيالتهم . وحملوا على
الواقفين من اصحابنا حملة الرجل الواحد . فتحرك الصف الثابت
الساكن امامهم كالبنيان اذا تحلحل من القواعد . وتراجع عنهم
المسلمون استدراجا . وملا الأرض السماء عجا وعجا . وزخر

بحر الحرب على أمواج امواج . فما قريبا من خيام اليزك . الا وقد
اعتكر جو المعتكز وعساكرنا قد أوجفت عليهم . وزحفت
إليهم . وأردتهم بعقابهم . وردتهم على اعقابهم ووصلت الى
رؤساهم فقطعت رؤوسا والحف بأسها ذلك الجمع بؤسا . وثنت وجه
الكفر عبوسا . وولوا مدبرين . وأدبروا مولين . والجريح بالقتيل عابر
عائر . والذمر الباسل باسم بالموت باشر . فلما جن الليل رجعت بما
جنته الخيل . وبات الناس من الجانبين على غاية من التيقظ . وهمة
متنبهة للتحفظ . وحراسة وحماية . وسياسة ورعاية . فلما
اصبحوا عادوا الى عادتهم في اللقاء . وهاجوا بعابيتهم الى
الهيحاء . هذا وابواب البلد مفتوحة . والصدور بطروق الظهر اليها
مشروحة والفرنج قد ندموا على ما قدموا . وعدموا بصيرتهم بما
صدموا . وعادوا لايفرطون ولايتورطون . وينقبضون ولاينبسطون .

ذكر وفاة حسام الدين طمان

انتقل السلطان ليلة الاثنين حادي عشر الشهر الى تل
العياضية . ليكون به في الجهة المرضية . فان هذا التل بازاء تل
المصلبه منزلة العدو . وهو مشرف عليهم للعلو . وضربت خيام
الميمنة ممتدة الى البحر ، وخيام الميسرة الى النهر ، واتسع مجالنا
وضاقت الدائرة على الكفر . وكان الامير طمان صاحب الرقة
مريضا ولم تزل وجوه الايام الغير في سبيل الله باحمرار بيضه
بيضاء ؛ وهو الحسام الفاضل . والهامم الباسل . والقرم البازل
والندب الحلال . والمحترق لحمية الدين . والمقترح لحماية
المسلمين . ولما وافت وفاته . وقاته رجاؤه ولم يرجأ فدواته . أسف
على عمره . وأسى على أمره . وحزن كيف لم يقتل شهيدا . ولم
يستشهد في الجهاد سعيدا . وقال : قدموا حصاني حتى اشهد الحرب
واستشهد ، واجاهد الى ان اقتل واجهد ، فاني ارى موتي على
الفراش عبثا . وقد عرفتم مني شجاعة لاجبنا ، وتوفي عصر الاربعاء

ثالث عشر شعبان ، وبواه الله الجنان ، ويشربه رضوان . وكان قد توفي بالقرب الامير الندب . فارس الحرب . ليلة الاثنين السابع والعشرين من رجب . حسام الدين سذقر الخلاطي النجيب المنتجب فذبت مضارب الدين باغماد الحسامين . وحلت الهموم لاجل اجل الهمامين ، فوجمت النفوس ، وامت القلوب وفاضت لغروب فيضها الغروب .

ذكر واقعة للعرب . أربت لنا بالأرب

انتهى الينا ان الفرنج . يتطرقون ويتطرفون . ويأمنون ولايتخوفون . ويخرجون للاحتشاش وينتشرون لضم الاعشاب من الاعشاش ، ويصلون الى طرفي النهر ، وهم لمن يحلق عليهم من فوقهم تحت القهر ، فانتدب جماعة من العريان ، وضراغم فارسة من الفرسان ، فاغاروا وهم غارون ، وساروا الى جمعهم وهم يتجمعهم سارون . وحالوا بينهم وبين خيامهم ، وحشروهم الى حمى حمامهم . وحملوا اليهم حين حملوا عليهم رؤسا ، وقطعوا منهم لما اتصلوا بهم رؤوسا . واحضروها عند السلطان فاجتابوا بها خلع الاحتباء ، وبعثهم على الحمية والاباء ، وذلك يوم السبت سادس عشر الشهر . وسر المسلمون واستبشروا بوقعة النهر . هذا والقتال بينهم وبين اصحابنا في عكا متصل ، وشرار الشر مشتعل ، والموت منهم منتقي وفيهم منتقل . وفي كل يوم تقوم الحرب على ساق . والارواح في مساق ، والمصاع على اتساق ، وكم قتل من حزب العدو واسر . وكم حمل ليكسر فكسر . وربما مل الحزبان ، وكل الغريبان . فتوافقا على الامان . وتوافقا يتكلمان . وربما اقدموا ثم نكصوا . وغذوا ورقصوا . واذا لغبوا لعبوا . واستراحوا الى الوقوف اذا تعبوا ومن نواذر ماجري وغرائبه ، وملح ماتم وعجائبه ، ان الطائفتين في بعض الايام . ضجرتا من مباشرة الحرب على الدوام ، فقال واحد من الفرنج الى متى هذا القتال . وقد فني الرجال ، فاخرجوا صبيانكم الى صبياننا . وليكونوا في

امانكم واماننا ، فبرز منهم صبيان . ومن البلد اخران . فقاتلوا مليا ، والفقوا نار الحرب صليا ، ثم وثب احد الصبيين المسلمين . على احد الصبيين الكافرين . وضرب به الارض . وقفز عليه وانقض . وقبضه كسيرا وجذبه اسيرا ، فافتداه بعضهم بدينارين . وعاد المسلم من ظهوره وسروره الى جنتين . والعدو من كفره وفكره الى نارين ، ومن الاتفاقات النادرة ، وامارات السعادة الظاهرة . انه اقلت من بعض مراكب الفرنج حسان . له عندهم صيت وشأن . فلم يقدروا على ضبطه ، كما عجزوا عن ربطه . ومازال يعوم في البحر وهم حواليه . حتى دخل مينا البلد وتسارع اصحابنا اليه . واهدوه الى السلطان ، وعده العدو من امارات الخذلان ، ورأيناه لنا من دلائل النصر والاحسان .

ذكر الواقعة الكبرى

واصبح الفرنج يوم الاربعاء العشرين من شعبان . وقد رفعوا الصلبان ، وزحفت اسودهم في غاب المران . وطارت بهم خيولهم عقبانا على عقبان . وجرت بالجبال منهم رياح . وجالوا دون التل كأنهم له وشاح . وخرجوا على التعبيه . وشفعوا نداء الكفر بالتلبية . وشفعوا بالتبرية للتربية . وتقدموا معتمزمين . وعزموا مصممين . وثاروا ثورة الشيطان . وفاروا فورة الطوفان ، وقدموا الراجل امام الفرسان ، وزحفوا اطلابا ، ودبوا دبب الليل الى النهار ، وهبوا هبوب الخيل الى المضمار ، واجروا سيول السوابق الى القرار . وجروا نيول السوابغ الى الغوار ، وتحركوا وهم هضاب ، وتدرکوا وهم غضاب . ومازالت ميسرتهم تكثر وتكثف . وتعطوا (٣٣) وتعطف . وتفور وتثور . وتروود وتدور . وتهتم وتهتم . وتدمدم وتدوم . وقد عبى السلطان ميمنته وميسرته ، وطلب من الله نصرته . وثبت قلبه وقلبه ثابت . وحزبه في صف الحرب ثابت . ورعبه لكبة العدو كابت . وهو يمر بالصفوف . ويأمر

بالوقوف . ويحض علي حظ الابد . ويحث على الجلال والجلد .
ويثوب للوثوب . ويندب الى الندوب . ولما شاهد شروق بروقهم .
وخروق مروقهم . وكثافة ميسرتهم . وحشو وحشود كثرتهم . انهض
رجال القلب لتقوية ميمنته على الحرب . وكان الملك المظفر تقي الدين
من الميمنة على الجناح ، في جمع يعثر بعثيره وارد الصباح ، وكلما
تقدموا تأخر يستجرهم . ويحذر مكرهم ومكرهم . فعرفوا انه لا قبل
لهم بمقابلته ، وان هذا ليس ميعات مقاتلته ، فتركوه واستقبلوا
القلب وزخر بحرهم وعب . وحملوا حملة ذوي حملة دوى منها
الدو . واسود منها وجو الجو . ووصلوا الى جموع ييار بكر
والجزيرة . وغاصوا في لجتها بغدران السوايح والسوايح الغزيرة ،
وكانت من القلب الى الجناح للطيران وجبالها على الرياح للجريان
فعرفوها بالغر . واستضعفوها لدى الكر . وألوا بها فما ألت .
وهموا بها فما همت . واندفعت ومدفعت . وتراجعت وما رجعت .
وتعكست وما عكست . وادبرت وما تدبرت . ولكونها غير عارفة بقتال
الفرنج هابت وما هبت ولا بت (٣٤) ومالبت . ورابت وما رابت .
وجاؤوا الى القلب وقلبوه . وحاربوه وحربوه وخربوا حربه .
وخرقوا حجه . وهناك استشهد كرام باعوا انفسهم بالجنة .
واسذو نحورهم نحو الاسنة . منهم الامير مجلي بن مروان . وكان
مجليا في المروة . والظهير اخو الفقيه عيسى وكان ظاهر الفتوة .
واخرون اعترفوا بنذوبهم فرحضوا بماء الشهادة دون حوبهم .
وصعدوا الى مخيم السلطان . طامعين في استطالة حزب الصليبان .
وكنت في جماعة من أهل الفضل قد ركبنا في ذلك اليوم . ووقفنا على
القل نشاهد الواقعة وننتظر ما يكون من القوم . وماظننا ان القوة
بهي (٣٥) . وان الواقعة الينا تنتهي . فلما خالطونا في المخيم .
وباسطونا في المجثم . وكنا على بغال . بغير أهبة قتال . استدركتنا
امرنا . واخذنا منهم حذرنا . ورأينا العسكر موليا . والمهزم عما
تركه من خيامه ورحله متخليا . فوافقنا في الاندفاع . والفينا
الاستضرار في المال عين الانتفاع . فوصلنا الى طبرية فيمن وصل .
ووجدنا ساكنها قد اجفل . فسقنا الى جسر الصنبرة ونزلنا على
شرقية . وكل منا ذاهل عن شبعه وريه . مفكر فيما يكون من امره .

منكسر القلب لما تم على الاسلام من كسره . لا يألّف مبيتا . ولا يلفي بيتا ، ممسك بلجام فرسه . قد اذن ضيق نفسه بضيق نفسه . ومن المنهزمين من بلغ عقبة فيق . وهو غير مفيق . ومنهم من وصل الى دمشق غير معرج على طريق . واقمنا بموضعنا على الخوى والخيل واقفة بلجمها والطوى . والغمض غير طارق . والفرق غير مفارق . والقلوب مرتاعة مرتابه . والادعية الى الله مرفوعة مستجابة . وتحدث الناس فيما بينهم بان الاسلام عاد جده . وعاد جنده وان الكفر حاد فله وفل حده . وان الميسرة ثبتت فثاب اليسر . والاسدية انتصروا فأسد النصر . وكان هذا الصدى يقوى . والصدأ يروى . والبشرى تسري . والبرد بها تجري . والناس بين مصدق ومكذب . وذاهب في مذهب من الظن مذهب مهذب . حتى عبر سحرا علينا خادم اسمه صافي وقد ورد مورد الظفر الصافي . فنأدى أين العماد . فقد جاءه من النصر المراد . فأسرعنا إليه . واجتمعنا عليه . فقلنا ما الخير . وكيف ضفا الظفر (٣٦) . وصفا الكدر . وقدر السلطان وتسלט القدر . والى اين انت سار بالنبا السار . وفي اية دار تنزل بمنزل النصر الدار . فقال: أنا بشير دمشق بالنبا العظيم . والخبر الكريم . فقلنا: اهلا بشائر البشائر وطائر الاوطار . والسائر بالسار والاخ البار بالاخبار . والصديق الصادق . والموفق الموافق . ومرحبا بالخصي الخاص لما مر حيا فحل بالخبر الفحل فحلا . وكم ام للنجح املا وجلا وجلا . فأبنا محبورين مجبورين . وثبنا مثابين مأجورين . وندمنا على ماندمنا في الهزيمة . وعز علينا ترك الاخذ بالعزيمة . ولقينا السلطان وقد فتك وقتل . وجد وجدل . وانتقم من القوم ومن مقامه ما انتقل . وقد شل الجموع وجمع الاشلاء وادام الاجراء حتى اجرى الدماء .

ذكر حصّة النصر بعد صحتة الكسره وكيف ادا ل الله الاسلام واذل الكفر بتلك الكره

لما تمت الكسره . وعمت الفتره . وكرت الكره . وامرت تلك المره .
وصل جماعة من الفرنج الى خيمة السلطان وشيم من عارض
اعتراضهم شوّم شيمة الشيطان . وجالوا جوله . وخالوا دوله .
وصالوا صوله . ثم رأوا عنهم انقطاع اشياهم . وعدموا اتباع
اتباعهم . فشرعوا في اندفاعهم . وهابوا الوقوف على اجتماعهم .
فانحدورا عن التل . وقد جاؤوا بقوة العز فآبوا بضعف الذل .
واستقلهم اصحابنا فركبوا اکتافهم . وحكموا في رقابهم اسياهم .
وردوهم وأردوهم . وعدوا على شركائهم في الشرك فآعدوهم . وكان
في ميسرتنا عسكر سنجار والاسدية فما زالوا ومازالوا . بل وصلوا
وصالوا وصلوا . وحملت عليهم ميمنة الفرنج فكأنما مرت بالجبال
الرياح . وخالطوها فودعت أجسامها الأرواح . وعاد من كان من
الميمنة الاسلامية بالبعد . حاد المضاء ماضي الحد ، مثل تقي الدين .
وقايماز النجمي والحسام بن لاجين . ومن ثبت من أبطال
المجاهدين . فكروا على ميسرة الفرنج فشلوها وانهلوها من دماؤها
وأعلوها . ولقوها وفلوها . ولقوها وأقلوها . ووضعوا فيها
السيوف . وأوضعوا اليها الحدوف . وأوسعوها قتلا ذريعا .

وما بطأ الوقت حتى صار مقدامها ضريعا سريعا . فلم يقلت من
الإعداء إلا أعداد . ولم ينج من الاقها الا احاد . وامست لنا الحرب
قراشا . ولارض المعركة قراشا . وتبعها اصحابنا حتى كلت
سيوفهم وكلوا . وملت لتوتهم وليوتهم وملوا . وفرس زهاء خمسة
الاف فارس من كل ممار ممارس . ومستوحش بالموت انس . وممن
اودى في الاقدام مقدم الداوية . ولم تحمه من الحمام ناره الحامية
لنار الحمية . وحكي عنه انه قال بعرضنا في مائة الف وعشرة الاف .
احلاف الحاف والاف اتلاف بلا تلاف فلما عجزوا . وبالخندق

احتجزوا . وقف عنهم اجنادنا . وبلغ المدى فيهم جهادنا
واجتهادنا . ومن العجب ان الذين ثبتوا منا لم يبلغوا الفا فردوا
مائة الف . واتاهم الله قوة بعد ضعف . وكان الواحد منا يقول قتلت
من المثلثين ثلاثين واربعين . وتركتهم بالعراء عراة مصرعين .
ولاشك ان الله انزل المسومين . وكل يتحدث بعد ذلك مما شهده .
ويعهد الينا بما عهده . وحكى بعضهم قال كنت على فرس قطوف .
ماله منة سير ولا وقوف . وانا منهزم من فارس مدجج . في بحر
الحرب ملجج . وهو على جبل يجري به جري الريح . وينادي بشعار
المسيح . وقد لز بقربي حصانه . وهز لصلبي سنامه . فما شككت
انه يشكني بلهزمه . ويفكني بمخذه . وايست من البقاء . وانست
للشهادة واللقاء . واستعدت بالله واستعنت . وتشاهدت مما
شاهدت . ثم ابطأت على صدمته . واخطأتني حدمته . فالتفت فاذا
هو وحصانه ملقى كلاهما . وما وجدت بالقرب احدا اقول انه
ارداهما . فعرفت انه نصر الهى . وصنع رباني في مذاق الايمان
شهى . وفي افاق الاحسان بهي . فايقنت ان النصره ماملكت ، الا
الملائكة نصرت . وان الظهور ماسر الا لاسرار لله ظهرت .

ذكر مكاتبة انشأتها الى بعض الاطراف

بشرح ما يسره الله في هذه الوقعة من الألفاظ

قد سبقت المكاتبة بشرح الاحوال وذكرها . وشكر
الطاف الله الخفية وابداء سرها . ونشر مطاوي النعم باذاعة طيها
واشاعة نشرها . وذكر فيها ماالفرنج عليه من اجتماع راجلها
وفارسها . والاحتماء بخنادقها ومتارسها . وان لنا كل يوم فيهم
نكاية بالغه . وسطوة دامغة . وثعالب عوامل في دمائهم والغه .
ومضارب مناضل لرؤوسهم فادغة . ونيوبهم عواسل ماضغهم
ماضغة . ونيول نغم عليهم في تقليص ضلالهم سابغه . وايدي ايد
لصفحات البيض بنجييعهم القاني صابغه . وضماثر وضوامر عن كل

شغل سوى شغل الجهاد فارغه . وهمما وعزائم لاترى عن وقم
القوم اهل الزيع زائفة . ومابرح الفرنج في برج شديد . وامر غير
سديد . وظل للذل مديد . وضيق حصر في كل يوم جديد جديد . حتى
ضاقت انفسهم وانفاسهم واخفق رجاؤهم . وظهر يأسهم ووقع
بينهم بطول المقام باسهم . فاجمعوا امرهم على انهم يجدون في
اللقاء . ويهيجون الى الهيجاء ، ويلقون الالوف بالالوف .
ويصدمون الصفوف بالصفوف . ويعرضون نحورهم ووجوههم على
الاسنة والسيوف . ويكسفون بشبه التثليث ادلة التوحيد .
ويكشفون الضر عنهم بالجد الجديد . والحد الحديد . وبرز ذلك
الخميس يوم الاربعاء لعشر بقين من شعبان . ورفعوا الصلبان
واشرعوا الخرصان . واتبعوا الشيطان . ورتبوا الرجال . وطلبوا
الفرسان . وحملت لهم اطلاب تضم ابطالا . وتضمن بباطلها للحق
ابطالا . وتأمل لشمها المتفرق اجتماعا . وترجوا للصليب السليب
ارتجاعا . وعصفت رياحها الهوج . واقبلت بحار سوابجها
وسوابغها تموج . وكاد ان يثبت للشيطان قدم ، ويراق للايمان دم .
فانها خرقت حجاب الصف . وفرقت شمل الجمع الملتف . وزاغ
جنان الجبان وهمه وهمه . وادبر موليا وعزمه زعمه . فظن من
لايقين له ان الاسلام قد اسلم . وان نصر الله الموجود قد عدم . وان
الكفر المتأخر قد تقدم . وان الصبح المتبليج قد اظلم . وهناك عرف
اهل الثبات . وثبت اهل العرفان . ورقصت المران على اشاجع
الشجعان . والتفت العنان بالعنان . والتقى السنان بالسنان .
وخطبت الصوارم على منابر الطلى . ورتعت اللهازم في كلا الكلي .
وفتحت اليغالق مغالق الحتف . وزحفت الفوارس الى فوارس
الزحف . وعطفت العساكر المنصورة طلابا لتلك الاطلاب . ووصلت
ضرب الاعناق بقطع الرقاب . ومازالت تشل الفرنج وتقلهم . وتحل
بعقدهم الوهن وتحلهم . وتروي ظمأ الظبا من ورد وريدهم .
وتخضب شيب البيض بدم طريدهم . حتى فرشت بعد ان سلبت
اشلاؤهم بالعراء عريا . وجرحت خيولهم وخيالاتهم فلم تستطع
اجراء ولم تطوق جريا . حتى تثلمت وتثلمت بنجيعهم صفحات
الصفاح . ووقفت اشباحهم وقفة الوداع لفراق الارواح . واعرب

حديث حادثهم عن جمجمة الجماجم الفصاح . وقتل من مقدميهم
ومقدمي مقدميهم زهاء خمسة الاف . زهى الاسلام بما اتسع من
عطن عطبتهم . وحسن منقلبه بسوء منقلبتهم . وعاش بما شاع من
قتلهم . واشتغل العسكر المنصور بشغلهم . وطاب القلب المهوم بما
تم من مآثم الكفر وعرس الدين . وقصم الهدى متن الضلال المتين .
وهمت الرواعف الفوارع بحمل هامات الحاملين . وانجلى الغبار
عن كل قتيل مالعائره من مقييل . ولا لاقائله من مقييل . وعادت اعلام
الاسلام ظاهرة . وأيمان باطنة قاهرة . وهدي الهدى على النصر
مزفوفه . وعيون العدا عن النظر بالعمي مكفوفة . ولم ينج ممن حمل
من حمل رأسه . ولم يقدم من اولئك الرجال الا من فقد رجاءه .
ووجد رأسه . وعاد الفرنج الى خيامهم وقد فجعوا بتلك الالوف
واصيبوا بمن صفا في تلك الصفوف . وتراعت وجوه الفتوح لنا من
خلال تلك الحتوف . ودخل الليل عليهم . ووقفت العساكر حواليتهم .
وهم وان وهنوا لما اصابهم من الكسره . واخطأهم من النصره .
وحل فيهم من الرزء . وسخر بهم الشيطان في موقف الهزء . وفجع
كلهم بالجزء . ونقص منهم العدد الكثير . وركد من ريحهم ذلك
العاصف المبير . فانهم في حشد كالدبى . وجمع اغص الوهاد
والربا . وقد اخلدوا الى الارض وشدوا على حب الموت الحبا .
وودوا لو وجدوا مهربا . وتفرقوا ايدي سبا . وقد عادوا وتحصنوا
وتصبروا . وتخبروا المقام على الحين حين تحيروا . واوسعوا
الخنادق وعمقوها . واحكموا المتارس ووثقوها . وندموا على
الحركة . فانها افضت بهم الى الهلكة . وانهم ماداموا رابضين .
وعلى يد الصبر قايضين . يتعذر الوصول اليهم . والدخول عليهم ،
وتطول ايام الاحاطة بهم من حواليتهم . وفي تلك الجرعة التي حلا بها
للشجعان طعم الطعن . وغلب فيها للجبناء وهم الوهن . وتجانى عن
الثبات من محبي الدنيا جنب الجبن . ارتاع عسكر الشرق من ذلك
الغرب واختار المتسللون المتفللون منهم البعد على القرب . وما ثبت
الا عسكر سنجار فكله محرب مجرب للامور . سيد ساد للثغور .
ومجاهد الدين يرزقش قد صدق نعته بالمجاهدة للدين . وجلال ظلمة
الوهم بنور اليقين . وقرت عين طمان بالجنة باقدام الولد . وماذا

يقال في شبل ذلك الاسد . وانما الغرباء هابوا . وكانوا قد ضجروا من الحضور فغابوا . والفرننج الان في نل وخسر . وفي عسر بغير يسر . وفي حصر بغير حصر . والمرجو من الله سبحانه ان يقدر على قطع دابرهم . واهلاك سائرهم عن اخرهم . وتحريك همم المؤمنين في تسكين سائرهم . وتخريب عمرهم وعامرهم . وانزال دوائر السوء بمنازل دوائرهم . ومادام البحر يمدهم . والبر لا يصددهم . قبلاء البلاد بهم دائم ، ومرض القلوب بادوائهم واسوائهم ملازم . وتبديرها الان في التدمير على هذه الجموع . وسوقهم الى مصارعهم في ورطة الوقوع . فأين حمية المسلمين . ونخوة أهل الدين . وغيره أهل اليقين . وما يقضي عجبنا من تضافر المشرك على شركه . وتظاهرة في اتساع مسلكه واتساق سلكه . وقعود المسلمين وتقاعدهم وتعاضلهم في تعاضدهم . وانحلال عقود تعاقدهم . فلا ملبي فيهم لمناد . ولا موربي منهم في اجابة داع لزناد . فانظروا الى الفرنج اي مورد وردوا . واي حشد حشدوا وأية شالة نشدوا . وأية نجدة انجدوا . وأية اموال غرموها وانفقوها . وجدات جمعوها وتوزعوها فيما بينهم وفرقوها . ولم يبق ملك في بلادهم وجزائرهم . ولا عظيم ولا كبير من عظمائهم واكابرهم . الا جارى جاره في مضمار الانجاد . وبارى نظيره في الجد والاجهاد . واستقلوا في صون ملتهم بذل المهج والارواح . وامدوا اجناسهم الانجاس بانواع السلاح مع اكفاء الكفاح . وما فعلوا ما فعلوا . ولا بذلوا ما بذلوا . الا لمجرد الحمية لمتعبدتهم . والنخوة لمعتقدتهم . وليس احد من الفرنجية يستشعر ان الساحل اذا ملك . ورفع فيه حجاب عزهم وهتك . يخرج بلد من يده . او تمتد يد إلى بلده . والمسلمون بخلاف ذلك قد وهذوا وفشلوا . وغفلوا وكسلوا . ولزموا الحيرة . وعمدوا الغيرة . ولو انثنى والعياذ بالله للاسلام عنان . او خباسنى ونبا سنان . لما وجد في شرق البلاد وغربها . ويعد الافاق وقربها . من لدين الله يغار . ومن لنصرة الحق على الباطل يختار . وهذا اوان رفض التواني . واستدناء اولي الحمية من الاقاصي والاداني . على انا بحمد الله لنصره راجون . وله باخلاص السر وسر الاخلاص مناجون . والمشركون بانن الله هالكون . والمؤمنون آمنون ناجون .

ذكر ما عرض للعسكر بعد ذلك من العذر فصد عن قصد المباكرة لمناجزة اهل الكفر

وعاد السلطان الى مضاربه وقد عادت مضاربه الى عادة المضاء . وزادت مشاربه من مادة الصفاء . وامر بمواراة الشهداء . ومن جملتهم الفقيه ابو علي بن رواحه . وكان غزير الفضل قد اكمل الرجاحة والسجاجة . وهو شاعر مفلق . وفقيه محقق . من ولد عبد الله بن رواحة الصحابي الانصاري في الشهادة والشعر معرق . فطرفه الاعلى يوم مؤته مع جعفر الطيار . وطرفه الاقرب يوم عكا في لقاء الكفار . ومنهم اسماعيل الصوفي اليرموكي المكبسي . وكان سيديا عفيفا عاريا من العار لا يتدنس بالشبه ولا يتلبس . ومنهم شيخ من الحاشية في بيت الطشت . وغلالم في الخزانة امين على البيت وآخرون صودفوا عند التل فجاءتهم السعادة . وفجأتهم الشهادة . وهؤلاء سوى من وقع في الوقعة . وذهب قبل الرجعة . واجمع السلطان وذوو الآراء انه يصبح القوم . ويباكر في طلب ارواحهم السوم . وقال هؤلاء قد اضعفنا قوتهم . واعجزنا قدرتهم . وقتلنا سورتهم . واخذنا فورتهم . وقتلنا مقاتلتهم . وادوينا داويتهم . فان تركناهم بلعوا الريق . وبلغوا في الاحتراز والاحتزاس الطريق . فنحن نوافيهم غدا . ونوفيهم ردى . ونكيلهم بصاع المصاع . ونذرهم بباع السباع . ونقيهم بذراع اليراع . ونوسعهم قرى القراع . ونذيقهم حر الحرب ، ونسقيهم في طعم الطعن شرب الضرب . ونعين من عيونهم للسهام سهاما ، ونتخذ لارواح النصال من اجسامهم اجساما . ونفرقهم بماء فرند الهندوانيات . ونحرقهم بنار زند اليمانيات . ونوجد من عدمهم النصر ، ونطيب من نتفهم النشر . ونقطع دابرهم . ونلحق بأولهم آخرهم . فلما اتفقت الآراء على امضاء هذا العزم . واجراء هذا الحكم . تفقدوا العسكر فاذا هو قد غاب . لما ناب من الامر وراب . وذلك ان غلمان العسكرية وصحابها . واوباش الجمع وأوشابها . وذواتك الفورة هزيمة . فنهبوا الاثقال والاحمال وعدوها غنيمة .

وانهزم من انهزم من الجند . وثبت من ثبت من اهل الجد . فمن عاد الى رحله وجده منهوبا مسلوبا . وكان ظنه انه فرغ من لقاء خطب فلقى خطوبا فمضوا وراء الغلمان . وبلوا بسوء بين السودان . واصبحنا واذا العسكر غائب . والعازم عازب . والقاصم قاص . والطائع عاص . والجمع متفرق . والثابت قلق . والامن فرق . والغني معدم . والجريء متندم . فهذا خلف ما ذهب من ماله ذاهب . وهذا لمن طلب الطريق باثقاله طالب . ففتقر ذلك العزم وتأخر ذلك الحكم . وانتعش الفرنج في تلك المدة . وانتشلوا من تلك الشدة . واستطالوا بعد الاقصار . وفرغوا شغل الحصار . وجاءتهم في البحر مراكب اخلفت من عدم . وبنيت ما هدم فكمل بالمدد . ما نقص من العدد . ولولا ان الله تعالى قدر بقاءهم لكننا عاودنا صباح تلك الليلة لقاءهم . فان الفرصة أمكنت . والحصنة تعينت . والجو خال . والضوء عال . والحال جميلة والجمال حال . فقضى الله بما قضى . وعرانا المضيض بما مضى . وبقيت هناك تلك الجيف منتنة منبئة مبيته . وتلك الجثث محينة مجتثة . تعرفنا ان نشورها من حواصل الذسور . وان قدرها بطون الضباع والذمور . فشكونا نتن رائحتها . وشكرنا يمن جائحتها . فعجل السلطان حملها على العجل الى النهر . ليشرب من صيدها اهل الكفر ، فحمل الى الماء اكثر من خمسة الاف جثة . بعثت الى النار قبل يوم البيعة ، فما عبر بها الا من اعتبر واستشفى من اقبل بمن ادبر . وسلم الله من اسلم وكف ورد بالردى من كفر .

ذكر ما اعتمده السلطان في استرجاع ما نهب من
الثقل واستدراك ما حذب من الخلل

تقدم الامر الى المقدمين والامراء . بعد النداء واعلام الجهلاء ، باحصاء كل ما نهب . واحضار كل ما سلب . وانه من لم يرد ما اخذه اخذ بالردى . واعتدى عليه بمثل ما اعتدى . فاحضر كل ما

عنده وبذل في الكشف جهده . وجمعوا ما تفرق منه في الخيام في خيمة السلطان . وضاعت عن كثرته سعة ذلك المكان . وجلس السلطان يوم الجمعة لسبع يقين من شعبان . فكل من عرف من ماله شيئاً اخذه بعد احلافه . وحلا في مذاق الشكر قطاف الطافة . وسعى في معاناة ذوي الاخلاق الصعبة على سهولة اخلاقه . وشفى العلل والغلل بالنهل والعلل من اشفاقة . وقمش ذلك القماش . وحصل من ذلك الوبل الرشاش . وصح بعد العربي والعشار الارتياش والانتعاش . وكتب الى الولاة بالامصار والنواحي . والاقطار والضواحي . بحث البحث وجد الكشف . واستخلص كل مايوجد ويؤخذ بالرفق والعنف . وتراجع الناس . وتتابع الايناس . وعادت مضارب العزائم الى مضائها . وقضاة القواضب الى اقتضايبها . وغار الانف وانف الغيران . وتسلسل العزم وعزم السلطان . وثار الحذق وحذق الثائر . وطار العلق وعلق الطائر . وطلبت الطلي نكاح بنات الخذل الذكور . واشرب للشرب نبات الاسل الى ماء النحور . وحمي ذوو الحمية للثقاصي . وقالوا حتى متى التراضي بالتغاضي

ذكر مجلس عقد ورأي عليه اعتمد وصواب افتقد وقد

فقد

وحضرا أكابر الامراء عند السلطان . يوم الخميس التاسع والعشرين من شعبان فقال باعلموا أن هذا عدو الله وعدونا قد أجلب بخيله ورجله . وأناخ بكلكل كله . وقد برز بالكفر كله إلى الاسلام كله . وجمع حشده وحشد جمعه . واستنفذ وسعه . وإن لم نعاجل الآن فريقه . والبحر قد منع طريقه . أعضل دأؤه . وتعدز غدا لقاؤه . فانه إذا سكن البحر . واستسهل ركوبه السفر . تضاعفت أعداد الاعداء . فظهر الاعدام من الأعداء . وخرج الداء عن قبول الدواء ونحن ما وراءنا نجدة ننتظرها . ولا قوة نستحضرها . وما يلي بهذا المعشر إلا معشرنا . وما بازاء عسكر الكفر إلا عسكرنا .

وما في المسلمين من ينجدنا . وما في بلاد الاسلام من يعيدنا .
وعساكرنا حاضره . وعزائمنا للتواني حاضرة . وعيون أسنتنا إلى
الفتك بالعدا ناظره . وما يعوزنا إلا حضور أخينا الملك العادل سيف
الدين . ولا بقاء للنقاد إذا أصرح منه ليث العرين . فالرأي كل
الرأي في المناجزة . قبل وقوفهم على محاج الحاجزة . ثم قال ليشر
كل منكم برأيه . ولا يقدم على قول ورأيه من ورائه . فتجاذبوا حبل
الاضطراب . واختلّفوا في الآراء بحسب اختلاف الآراب . وركب كل
منهم هواه . وأعلن بما نواه . ومنهم من قال هذا ثالث عشر تشرين
الثاني لا الأول . وقد دفعنا إلى الخطب الاعضل والتعب الاطول .
والنائب الاعصى والناب الأعصل . وما نزلنا عن الخيل منذ خمسين
يوما . وما طعمنا في هذه الليالي نوما . ولا سمنا لطارق طيف
غمضا . ولا شمنا الا لبارق سيف ومضا . ولكم قذفتنا المنيا وقد
دخلنا لهواتها . وكأن أبا الطيب عنانا بقوله . « وكأنما خلّقوا على
صهواتها » . وقد كلت الضوامر . وقلت البواتر . وملت العساكر .
وهذا الشتاء قد أقبل . والعدو قد استقل . والشرق قد استفحل . وما
يتأتي قلعه الا لمن يتأتى . وبالصبر يدرك الأريب ما يتمنى . وهم
بالمصابرة مصابون . ونحن على المثابرة مثابون . وهؤلاء لا يتمكن
منهم إلا بالجمع الجم . والسييل لا يغلبه غير الخضم . والصواب أن
نصابرهم . هذه الشتوه . ونستجد لنا ولخيلنا القوة . ونتأخر عن
هذه المنزلة . لتحصيل هذه المصلحة المؤملة . ونوكل بهم مناوبة من
يمنعهم من الخروج . وإذا انقضى البرد نرجع إلى معالجة هؤلاء
العلاج . ونعيد السريجات إلى سألها والسلاهب إلى السروج .
والصواب الأخذ بالاحتياط . وتقديم الكتب والرسال إلى الاطراف
والاوساط . ومكاتبة دار السلام . واعلام الامام عليه أفضل
السلام . بما دفع إليه الاسلام بالشام . فان المسلمين لا شك ينجدون .
ويقومون بالضر . ولا يقعدون . ولا يترك استنفار التركمان .
وترغيبهم بالبر والاحسان . واستدعائهم بالعطايا . والتشريفات
السنايا . ويذفد إلى بلاد الشام القاصية والدانية . في تحريك الهمم
والعزائم الوانية . إلى ان تمتلىء بالجموع ساح الساحل . وتغلى
بنار الحميات بها مراجل الراجل . فحينئذ ينتهي أمد المصابر .

ونصمم على المكابرة مع المكاثرة . ونبايهم ونفاتحهم قبل انفتاح
البحر . ونغاديهم ونراوحهم على اقتراح القهر . ونذسفهم ولو أنهم
جبال . وننزفهم ولو أنهم بحار . ونعدمهم حتى لايطرق جفن بلد
منهم خيال . ولايلم بجفن طارق لهم غرار . ومازلنا في مشاورة
ومحاورة . ومجادبة ومجاوبة ومناظرة ومساورة . حتى تنخل الرأي
وتمخض . وخالوا أنه تبين الصواب وتمخض . ومالوا إلى الدعة .
والخروج من الضيق إلى السعة . ومن نزال الحرب . إلى المنزل
الرحب . ومن المعتكك المعتكر . إلى المبرك المبتكر . فلم تعجبني هذه
الحالة . ولم توافقتي هذه المقالة . وقلت لعمرى أيتيم بمصلحة .
ولكنها غير مترجحة . فان الفرنج إلى الآن لم يتمكذوا من الحصار .
ولم يحدقوا بجميع الأسوار . فإذا رحلنا وتنحنينا عنهم أرخيننا
خناقهم . وأطلنا إلى مرادهم اعناقهم . وباب عكا من جانب البحر
مفتوح . والمقيم بها منا بكاس تفقدنا إياه مغبوق مصبوح . والطريق
إليها سابلة . والذخائر إليها في كل يوم داخله . والفرنح عن قطع
الطريق عاجزه . وعزائنا على مصابحتها ومماساتها لها دون
قصدنا محاجزه . فإن تأخرنا تقدموا . وان هونا احكموا . وإن
نقضنا أبرموا . وإن قعدنا قاموا . وإن بعدنا حاموا . ومتي رمناهم
تحفظوا . ومتي نمنا عنهم تيقظوا . وما دمننا نشغلهم فانهم لحرص
البلد لايتفرغون . وإلى أمد الأمل لايبلفون . فقالوا هذا أمر هين .
وما ذكرناه صواب متعين . ووجه الصلاح فيه بين . وما مقصودنا
إلا أن ينتشروا ويخرجوا من مضاربهم ويصحروا . فإذا أنسوا
بالرجاء لم يياسوا من الارجاء . أرخيننا لهم حبل الانظار . حتى
استمروا على الانتشار . وحينئذ نصيحبهم على غرة . ونعاجلهم كرة
بعد كرة . وننقض عليهم انقضاض البزاة على البغاث . ونصددهم
بالباعث الباغث لهم عن الانبعاث . وكان السلطان متكرها لما أبدوه
من الرأي الملتاث . لولا ما عرض لمزاجه من الالتياث .

ذكر الرحيل إلى الخـروبة . عند خيم الأثـقال المضروبة .

كان السلطان مع ما ألم به من الألم . غير مبد وجه الملل
والسأم . وهو في كل يوم يركب وعلى العسكر يطوف . ويقف
مستطيلا على العدو ويطول منه الوقوف . ويعود وقت الظهر . وعليه
أثر الضر من الصبر . فليم على فعله . وخصه الطبيب بعزله .
فانتقل الى الثقل ليلة الثلاثاء رابع شهر رمضان ، وخلي المنزل
الأول وأخلى العسكر-----كر ذلك
المكان . وتقدم إلى من بعكا باغلاق الباب . وسلوك نهج الاحتراس
والاجتناب . وجرى الامر على ما كنت قلته . وتحقق من الخلال ما
خلته . فإن المركيس رحل وشغل الجانب الذي كان خاليا . ورخص
عنده ما كان من سوم خوفا غاليا . وشرع الفرنج في حفر خندق على
معدسهم حوالي عكا من البحر إلى البحر . وأخرجوا ما كان في
مراكبهم من آلات الحصر . وفي كل يوم تأتينا اليزكية بخبرهم . وبما
ظهر من أثرهم . والجد في تعميق الخندق وتتميم محتفـرهم .
والعسكر هاجم . كأنه واجم والظن فيه راجم . وشر الكفر ناجم .
وما فينا لعود الأمر عاجم . وقتل يوما للسلطان يركب العسكر إليهم .
ويركض عليهم . فلعله ينال ظفرا . ويقضي من كسر العدو وطرا .
فقال ما يعمل العسكر شيئا إلا إذا كنت معه راكبا . ولعمله شاهدا
مراقبا . ولقد صدق في مقاله . فإنه كان أعرف برجاله . فإنهم كانوا
يبدلون معه المهج . ويخوضون من بحر الحرب اللجج . ويوسعون
لهزم العدو المازق اللجج . وكان من قضاء الله أنا أغفلناهم .
وأهملناهم بل أهملناهم . حتى عمقوا الحفور . ووثقوا من ترابها
السور . وملاوه بالاستائر . ومنعوه من الطير الطائر وبذوه
وأسسوه . وستروه وترسوه . ورتبوا عليه رجالا . ولم يتركوا
لواغل مجالا . وتركوا فيه أبوابا وفروجا . ليظهروا منها إذا أرادوا
خروجا . ولما فرغوا من هذا الامر اشتغلوا بالحصر . ونحن نقول

لامبالاة بهم ولا أكثراث . وما أسهل إذا عزمنا عليهم لأصولهم
الاجتثاث . وبسيول سيوفنا نغسل تلك الأخبثا . وأي وقت
قصدهم وجنناهم وجأناهم . ونكأنا قرحهم ونكبناهم . وما
فوارسهم لنا الا فرائس . وما خنادقهم لهم الارموس دوارس . وما
حفروا الا قبورهم . وما دبروا الا ثبورهم ومتى قصدهناهم كذبت
ظنونهم مذونهم . وامتلات باشلائهم خنادقهم . وأظلمت عليهم
بغربنا مشارقهم . وبيتتهم بوائقهم وتبت علائقهم .

ذكر رأي رائب عن النظر في الغاي غائب أسفر عن
داء دائب وأبان عن غرارة بغرائب .

وقع لبعض الاكابر فثنى عليه خنصره . ووكل باتمامه سمعه
وبصره .

لما تمت على الفرنج تلك المقتلة وعمت فيهم الهلكة . وضمت
أشلاءهم المعركة . وشوهدت على الربا حجب نحوهم المهتكة .
وخدموا وخملوا . وأهلكهم الله بما عملوا . وقع لبعض الاكابر انه
لم يبق للقوم انتعاش من تلك المعائر . وانهم قد عدموا القرار .
وعزموا الفرار . ولو قدروا على النجاة لخلصوا . ولو فتحنا طريقهم
ما تصبروا ولا تربصوا . وقال السلطان: ارحلوا عنهم حتى تروا ما
يكون منهم . فانهم يرهبون ويهربون . ويبعدون إلى صور ومن
بعدها من عكا لا يقربون . فمال قوم إلى مقاله . وتخيّلوا مثل
خياله . وأشار بقطع طريق البلد . والصدر عن ورد الرصد . والجد
في تعمية الجدد . وان يفتح لهم ما سد من الطريق . ولا يعوقهم فانهم
كلاب تعوي من التعويق . ولما بلونا رأيه . وتلونا آيه ، أخلف ظنه .
وبدا وهنه . وما زاد الفرنج الانباتا ولم نعرف لشلهم على ما توهمه
شتاتا . وكنا نتحدث بذلك الرأي القائل . ونقول ما أعجب قبولنا
لقول هذا القائل .

ذكر ما جرى بعد ذلك من الحوادث . وتجدد العزائم من
البواعث .

أقام السلطان بالمخيم لاصلاح مزاجه . وايضاح منهاجه .
ومداراة اله . ومداواة سقمه . فوهب الله له العافية . وكمل له
عصمته الكافية . ومنته الشافية . ونعمته الوافية . وأبدى له الطافه
الخافية . وقوي قلبه على المقام . بنية الانتقام . وصرف الأجناد
الغرباء ليرجعوا في الربيع . ويستريحوا في مراتبهم لوقت الرجوع .
وأقام في مماليكه وخواصه . ورجال حلقتة المنصورة من ذوي
استخلاصه . ورتب بالذوبة على الفرنج يزكا ضمنه دركا . وأدار
بهلاك القوم منه فلكا . وكان في مماليكه كل مقدم مقدام . وكل همام
همام . وكل ليث نبي لوته . وكل حدث محسن له حسن أحداثه .
وكل ضيغم ضاغم . وكل أسد عرين ليس الاعرنين قرنه براغم .
وكل ريبال نبي بال . وكل بطل من ولاية الهيجاء غير بطال . وكل
مغير للنصر مريخ . وكل مسيء إلى العدو لكأس الحمام مسيخ .
وكل تركي للرما غير تارك . وللاصماء غير فارك . قوسه في ظفر
الهدى مؤثر على الوتر . وسهمه من مقل العدا طائر إلى الوكر .
وسيفه في رداء الردى حال بدم الكفر . وكل حميدي في الروع حميد .
وبالحرب عميد وكل هكاري على القرن عكار . وفي الوغى كرار .
وللقنا جرار . وكل زرزاري بالأسد زار . وللبسالة كاس ومن الغار
عار . وكل مهرانى في القتال ماهر . وللرجال قاهر . وعلى الأبطال
ظاهر . وكل كمي كميثش واكديش . فما خلا يوم من وقعه . وما
صار من بارزهم إلا إلى صرعه . وما عاد من نجا من زنابير
سهامهم إلا بلسعه . وما حصلت شفاه شفارهم من طلاء من طاولهم
إلا على لطفه . وما تبقى على لتوتهم ليت . ولصوتهم في النزال كل
صباح ومساء حيت . وبلي الفرنج منهم بالمبير والمبيد . واعتاق بهم
مراد العدو والمريد . وما زال هذا دأبهم في الركوب . ومباكرتهم
ومراوحتهم إلى مواقف الكروب . فكم أقروا منا أعينا بأيديهم .
وثبتوا عدل النصر بتعديهم . وصدوا شر الشرك بتصديهم . وحركوا

ما سكن وهدأ من عزائم الهدأة بتهديهم . وفي يوم الاثنين ثالث شهر رمضان أخذ أصحابنا بعكا مركبا للفرنج إلى صور مقلعا . واجتلبنا به من سني النصر مطالعا . وكان المركب محتويا على ثلاثين رجلا وامرأة واحدة ورزمة من الحرير وجاءت حظوة حلوة . وغنيمة صفوة . وذنوة أعقت صدوة . وصحيحة استصابت ضحوة . وقوة من وهن العدو . ومحبة فككت رهن السلو . فقد كان انكسر نشاطهم وانقبض انبساطهم . وانخفض اغتباطهم . وفتت عزمتهم . وقصرت همتهم . وخمدت فورتهم . وركدت ثورتهم . فلما عثروا بالمركب انتعشوا وانتفشوا . وتنفعوا وتنعشوا . ودب الروح . وشب المروح . وتحرك الساكن . وتدرك الضامن . وصاروا يخرجون ويخرجون . ويقتلون ويجرحون . ويمسون على القتال ويصبحون . ويكافحون ويدافعون . ويقارعون ويواقعون . والعسكر في المنزلة هاجم . وجم جمعه واجم . واليزكية زكية . والهيون زكية . والذوب راتبة . والعدة المعنية المعينة في كل يوم راكبة .

ذكر وصول ملك الألمان

ونمى الخبر بوصول ملك الألمان إلى القسطنطينية في عدد دهم دثر . ونظم من خيله ورجله ونثر . وهو على قصد العبور الى بلاد الاسلام . وقطع بلد الروم والأرمن إلى الشام . وانه في ثلاثمائة الف مقاتل . من كل سالب باسل . وطالب باطل . وجهم جهنمي . وأشقري سقري . وأنمش أفعواني . وصل صليبي صلاتي . وأرقش حدشي . ومستعر سعيري . ومحرب لظوي . ومغوار ناري . وضار بالقرن ضار . وجار للدرع جار . وكل ذئيب عاسل . ذاب بعاسل . وأزرق لأبيض مشتمل . وأصهب لأسمر معتقل . وكل جحيمي جاحم . وجمري فاحم . وحربي بحري . وبار بري . وقاطع في طريق الوصول . وراحل بقصد الحلول . وناز إلى النزال . وصال بنار الصيال . ومشممر على الموت متمرن . ومتحين إلى المذون متحين . وفيهم ستون ألف فارس مدرع مقنع . ماله سوى السوء

من مقنع . وأنه مع الالمانى ملوك وكذود . وكل شيطان لربه كذود .
وكتب صاحب قلعة الروم مقدم الأرمن . وهو في قلعته على الفرات
ومن أهل الزمة في المأمّن . يبدي تنصحا وإشفاقا . وتخوفا على
البلاد واحتراقا . ويقطع بان الواصلين في كثرة . وان الناهضين
الى طريقهم في عثره . وأبرق في كتابه وارعد . وأبدع بخطابه
وأبعد . ولا شك انه الى جذسه النجس ماثل . وبملاءة أهل ملته
قائل . ولما وصل هذا الذبأ وقيل انه عظيم . وورد هذا الخبر وخيل
أنه أليم . كاد الناس يضطربون . على أنهم يصدقون ويكذبون .
ومن طرف كل حبل من الراي يجذبون . وقلنا ان وضع هذا الخطر .
وصح هذا الخبر . فالاسلمون يقومون لنا ولايقعدون . ويغضبون لله
ولايرضون انهم لايعضدون . على أن الله ناصرنا . ومدوارنا
ومظاھرنا . وحققنا باظهار القوة لمن استودحش التأنيس . وبثنا
بالارسال الى بلاد الروم عيوننا وجـواسيس . وندبنا رسـل
الاستنصار . وبعثنا كتب الاستتفار الى جميع الامصار والاقطار .
وقلنا ما هذه المرة الامرة ولايسيغها الا كل مرىء ابي . وما هذه
الكرة مثل كره . ولايحضرها الا كل كميث كمي .

ذكر رسالة دار الخلافة

وعول السلطان على القاضي بهاء الدين بن شداد يوسف بن رافع
ابن تميم . ليكون كتابه الى الديوان العزيز مع رسول كريم . وقال له
ما احتاج اوصي . وانت تستوفي القول وتستقصي . وجعل له الى كل
الذي ظرف في طريقه رسالة . وأودعه اليه مقاله . فسار من عتدنا في
شهر رمضان مغدا . يبذخيل العزم بذا . ويجذحبل السير جذا .
ووصل الى حلب والقاضي ضياء الدين القاسم بن يحيى بن عبد الله
الشهرزوري رسول السلطان ببغداد قد عاد . وذكر انه قد بلغ
المراد . وانه استجدى واستجاد . واستفاد واستزاد . وانه استكمل
للعدة الاستنجاز وللعدة الاستنجاد . فما هذا الرسول الرائح .
وربما تعرضت لتلك الحوائج الجوائح . وأذا اختلفت الحديث حدث

الاختلاف . ومتى الف غير ما القى الفى الائتلاف . فما هـذا العجل . ومم الوجـل . فصدقه الملك الظاهر غازي صاحب حلب . عن كل ما ابان عنه واعرب . وكتب الى والده . بذكر مقاصده . وقال انا لا اقدر على صد من للخدمة تصدى . ولا رد من بثوب الرسالة تردى . وأنت تمضي الى السلطان . بما اوضحته من البرهان . وهو يحكم ويحكم . ويعقد ويبرم . ويقول فتسمع . ويأمر فتتبع . ولعلك تعود سريعا . وتجد شمل ما افته جميعا . فوصل ضياء الدين الشهر زوري وهو مغتاز . وسجايه السجاح غلاظ . وتغير علي . ونسب انفاذ القاضي بهاء الدين الي . فانه كان مخاللي ومخالطي . ومجالسي ومباسطي . فازلت عنه كل ظن . واعتذرت اليه بكل فن . فما بسط عذر . ولا قبض زعر . فاني على اسبابي ببغداد خائف . ودون رضا كل سائر اليها واقف . واسترضيته فما رضي . ومضيت اليه مرارا قبل ان يمضي . ثم اجتمع بالسلطان وندمه على ما قدمه . واعلمه بما علمه . وقال له الشغل قد فرغ . والمقصود قد بلغ . والسؤال قد اجيب . والسؤال قد اصيب . والمخطوب بزمامه نحوك مخطوم . وكل ملك سواك لاجلك من رضاع رضاهم مفطوم . فكـن للامام يكن لك . وا قبل امره ليقبلك . واجتمع بالسلطان دوني . واتفق بجماعة شاركوه وافردوني . وقرروا معه سرا امرا . وحذروه ان يصير جهرا . ولو كنت معهم لعرفتهم ان الامر الذي ابرموه غير مبرم . وأن الراي الذي احكموا . غير محكم . ومازلت اؤكد الأمر حتى يؤمن انتقاضة . وتعرض دون الراي حتى لا يمكن اعتراضه . وايقن ان الامر ما فيه خلاف . وان الوعد ماله اخلاف . فما فعل الرسول يتلذث ولا امهل يتمكث . بل جعل على المجاز لا الحقيقة مجازه . وزعم فيما دبر نجاحه ونجازه . وسلك فيما تقرر نهج العجب . واسرع العودة على النجب . فلما انفصل عن السلطان . بما وصله من الاحسان . جمع السلطان الامراء على المشورة . ووقفهم على المعنى والصورة . وقال لهم قد وعدت الخليفة على لسان الشهر زوري بشهر زور . واستدعيت عسكره المنصور . وربما قدم الينا الحضور . فيكمل لنا النصر والحبور . فقالوا هذا راي رائب . وشاو شائب . وأمر عنه الصواب ناء . وكيف تعد

الامام بما لا يقرب بوفاء . وكيف ينجز هذا الوعد . وينجح هذا القصد . ودونه ايحاش من هو في طاعتك . فكنت تبذل ما يدخل في استطاعتك . اما صاحب الموصل طلبها فمنع . وصاحب اربل عنها دفع . ومملوكك بها لمن يجاوره خائف . وكل ايوائي لحدها وحققها خائف . وما من هؤلاء الا من بذل عنها اموالا واحوالا . والتزم من الجند والنقود انجادا خفافا وحمولا ثقالا . فاذا عرف انك اخرجتها لمن له الامر . دخل عليهم الضر . ومالك مالك الامر امركم . وابدوا في انقطاعهم عنك عذهم . وانقطع الواصل . وارتفع الحاصل . وما جاءنا من المذكورين فارس واحد . ولا ساعد على ما نحن فيه بعدها مساعد . اما هذا بكتمر في خلط . قد جمع الاخلاط . وجهر بالعداوة . واقام على الغيابة والغباوة . فقال السلطان الخليفة ملك الخليفة . وهو مالك الحق والحقيقة . فان وصل اليها اعطيناه هذه البلاد فكيف شهر زورو . وسيحدث الله بعد الامور الامور . ولما وصل ضياء الدين الشهر زوري الى بغداد . صادف بها القاضي بهاء الدين بن شداد ، فلم يسفر أمر سفارته عن سداد ، وقيل له جواب ما أتيت فيه مع ضياء الدين نسيه ، وندبه فيما نتخيره ، وشرف بهاء الدين وأعيد ، وزين ضياء الدين وزيد ، وذكر ماجرى فتم الاعتداد وتم الاحماد وسيأتي ذكر ما آلت اليه نوبته حين كانت أوبته .

ذكر وصول الملك العادل سيف الدين أخي السلطان
والاستظهار بمجموعه والاجتماع بظهوره لنصرة
الايمان .

ووصل الملك العادل سيف الدين من مصر منتصفا شوال . في جيش وال . وجمع حال . وشوكة رائعة . وشوكة رادعة . وشارة سارة . وديمه من البأس داره . وعدة منتخبة منتخبه . وعدة منتقاه مهذبه . من كل أجل على مرقب . وأجود على جواد مقرب . وصاف

عتيق على صافن عتيق . وطود ونيق على نيق (٣٧) . وصقر على
سوذليق (٣٨) . وبحر على سابح . وجذع على قارح . ومن كل
رئبال على تنقل (٣٩) . وأغر محجب على أغر محجل . ومن كل
أبيض ضرب بالبيض ضراب . وكل أسمر باسل بالاسمر سلاب .
وكل أروع يحمل يراعا ، وكل شجاع يعتقل شجاعا . وكل أحمى
أحمس . وكل أفرى أفرس . ومن كل أسد خادر . وقصور قاسر .
وضيم ضاغم . وقمقام وأقم . وليث به لوته . وحدث له في الشهامة
أحدوته . واحضر معه من سودان مصر كل زمر كانه العبي عابس .
وكل مغامر للموت مغامس . وكل غريب حلكوك . وكل سرحان
صعلوك . وكل ضرغام غريفي . ومقدام ريفي . وكل خارح لثار .
وكل مارح من نار . وكل أسود سالخ . وكل رأس في الشر راسخ .
وجاؤوا بالغبسة القبطية . والترسة اللطية . والصلال القفطيه .
والالال الذوبية . والحراب الحربية والصعاد الصعينية . والصوارم
المذروبة . والصرائم المشبوبة . والاسنة المسنونة . والصوابغ
الموضونه . والسراحين السارحة . والثعابين الجارحة . والتماسيح
المزدره . والشياطين المتوقدة . والزانات واليزنيات . والهنيات
واليمانيات . وكان يوم وصول العادل مشهودا . لم يترك في كل ما
يراد من القوة مجهودا . واقبل في روع ظاهر . وضوع باهر . وبشر
ذائع . ونشر ضائع . وحبور تام . وسرور عام . وهزة وطرب .
وعزة وأرب . وقلنا سيف الدين المنتضى . وناصر الاسلام المرتضى .
وغياث الانام المرتجى . وسلطان جيوش المسلمين المجتبى . لقد
نص النصر . وكف الكفر . وسلم الاسلام . ونام الانام . وأمن
الايمان . وتسلم السلطان . وحليت الاحوال . وفرغ البال . وبلغت
الآمال . ونيل رجاء الرجال . وأزيل إبطاء الابطال . وورت زناد
الأجناد . ورويت ظماء الصعاد . فما بعد اليوم . الا بعد القوم .
وادرك ما استقام من النهج . وهلاك من أقام من الفرنج . ونزل
الملك العادل في مخيمه . وقدم اليمن بمقدمه . وتقدم السلطان إلى
راجل دمشق والبلاد فحضر . وضايق الفرنج به وحصر . ولم يخل
العدو في كل حين من حين . وفي كل وقت من مقت . وفي كل شأن من
شين . وفي كل بقعة من وقعة . وفي كل صدق من صدقه . وفي كل ليلة

من بليه . وفي كل سحرة من كبسة بالذكاية فيهم مليه . والملك العادل يركب في كل يوم ويبلي . ومن جهده في القتال لا يخلي . والفرنح على البلاء صابرون . وللعناء والعناد مكابرون . لا يبرزون ولا يبارزون . ولا يجاوزون خنادقهم وهم فيها متحاجزون .

ذكر فصل إلى الديوان العزيز واشتمل على مجاري الاحوال .

قد تقدمت المطالعة بمنازلة العدو المنازل بالنوازل . ومجاولة أهل الغواية بالغوائل . ومقاتلة طواغيت الكفر الواصلة في البحر بعدد أمواجه إلى الساحل . وقد نزلوا على عكا المحروسة . برأياتهم المنكوسة وأرائهم المعكوسة . وحشودهم المجموعة وجموعهم المحشودة . وظلال الضلال الممدودة . وأقدام الاقدام المصدودة المسدودة . وقد مضت ثلاثة أشهر شهر بها التذليل على التوحيد سلاحه . وبسط الكفر جناحه . وحصل الشرك على قروحه وعدم اقتراحه . وقتل من الفرنج وعدم في الوقعات التي روعت . والروعات التي وقعت . أكثر من عشرين الف مقاتل . من فارس وراجل ورامح ونابل . فما أثر ذلك في نقصهم . ولا أرت الا نار حرصهم . وما قلل حد حديثهم الحادث . ولا قلل عدد كثيرهم الكارث . ولا غضوا عيون أطماعهم . ولا فضوا ختم اجتماعهم . ولا ردوا وجوههم عن مواجهة الردى . ولا قطعوا أملهم عن الوصول إلى المدى . ولو قطعوا بالمدى . وهم لما وضعهم ملازمون . وفي مصارعهم جاثمون . وعلى الموت صابرون . وإلى الحمام سائرون . وبالخنادق من البواثق محتمون . وبالطوارق معتصمون . وعندهم انهم للبلد محاصرون . وهم على الحقيقة وان كانوا لكثرتهم غير محصورين محصورون . وإن جندنا لهم المنصورون . وللعساكر الاسلامية فيهم كل يوم ذكاية شديده . وفتكة مبيدة . ووقعة ناكية . وجمرة ناكية . وصدمة صادعة . وخدمة رادعة (٤٠) . ولما امتنع الدخول عليهم . وتعذر

الوصول إليهم . جمع راجل البلاد . وحشد إلى حشودهم نوو
الاستعداد . حتى نقاتل الراجل بالراجل والفراس بالفارس .
ونفترع بقمع جمعهم بكر الفتح العانس . وقد وصل الأخ العادل
وفقه الله للمراخي الشريفة . بالجموع الكثيرة الكثيفة . ولعل الله أن
يجعل حذف هؤلاء الفرنج فتحا لأبواب الفتح . ويعجل الليالي آمال
المسلمين بطلوع صبح النجح . وليس هذا العدو بواحد فينجع فيه
التدبير . ويأتي عليه التدمير . وإنما هو كل من وراء البحر . وجميع
من في بيار الكفر . فانه لم يبق لهم مدينة ولا بلدة ولا جزيرة .
ولاخطة صغيرة ولا كبيرة . الا جهزت مراكبها . وأنهضت كتائبها .
وتحرك ساكنها . وبرز كامنها . ونفضت خزائنها . وانفضت
معانها . وحملت نخائرها . وبذلت أخايرها . وثار ثائرها . وطار
طائرها . ونذلت كنادسها . واستخرجت دفائن نقاسها . وخرج
بصلبانها أساقفها . وبطاركها . وغصت بالأفواج فجاجها
ومسالكها . وتصلبت للصليب السليب . وتغضبت للمصائب
للمصيب ، ونادوا في نوابيهم بأن البلاء بهم بلادهم . وأن أخوانهم
بالقدس أبارهم الاسلام وأبادهم . وأنه من خرج من بيته مهاجرا .
ويحرب الاسلام مجاهرا . ولتعبده مستردا . ولجده في النخوة لبيته
مستجدا . فقد وهبت له نذوبه . ونهبت عنه عيوبه . ومن عجز عن
السفر . سفر بعدته وثروته من قدر . وبذل البدر لمن بدره . فجاءوا
لابسين للحديد بعد أن كانوا لابسين للحداد . وتواصلت منهم
الامداد بالامداد . وتوالت أنجاد الانجاد . فهم على النقص
يزيدون . وعلى الأبد يبيدون . وبالمهج يجودون . وعن اللجاج في
حوض اللجج لايعودون . وهؤلاء الواصلون في البحر القاطعون
أثباجه . المكاثرون أمواجه . فأما ملوكهم الواصلون في البر فقد
تواترت أخبارهم . بأن خلت منهم بيارهم . ورمتهم إلي أغراضهم
البعيدة أوتارهم . وبهم يستفحل الشر . ويعضل الأمر . ويصول
الكفر ويجول . ويتناول الشرك ولكنه لايطول . فان ليين الله من
خليفته ناصرا لايسلمه . ورازقا لايحرمه . وما تمسك بحبل طاعته
إلا من فاز قدحه . وحاز السناء مدحه . وأسفر صبحه . ووفر
نجحة . وبدا علوه . وباد عدوه . والخادم بقوة رجائه في العوارف

الامامية . والعواطف الذبوية . وشدة استظهاره بالنصرة الظاهرة
الناصرية . الى أن يفرق الجمع . ويجمع للفريقين القميين .
ويعيد البر بحرا من دماء وافدي البر والبحر . ويقطع بقطع دابرهم
دابر الكفر .

ذكر وصول الاسطول المنصور من مصر يوم الثلاثاء
سادس عشر ذي القعدة في المراكب المستعدة المستبدة
بالأس والشدّة وكانت عدته خمسين شيئا .

كان السلطان منذ وصل الفرنج الى عكا قد كتب إلى مصر .
بتجهيز الاسطول وتجزية حياه . وتزجيه أمور رجاله . وتكثير
عده . وتوفير عده . وإصلاح شؤون شوانيه . واسناء رواسي
سواريه . فتولى حسام الدين لؤلؤ الشيخ أمره ؛ وشرح لايراه
وإصداره صدره . وأنفق من ماله . ما جمع به شمل رجاله . وهذا
لؤلؤ قد اشتهرت في الكفر فتكاته وشكرت في العدو زكاياته ، وقد تفرد
بغزوات لم يشاركه فيها أحد . ولم يكن فيها على الاسلام لغيره يد .
ما سلك نهجا الاملك . ولاطلب غاية الا أدرك . وهو ميمون النقيب .
مشكور الضريبة . وهو الذي رد الفرنج عن بحر الحجاز . ووقف
لهم على الطريق المجاز . ولم يترك منهم عينا تطرف . ولم يبق لهم
دليلا يعرف . وغزواته مشهورة . وفتكاته مذكورة . وأمواله
مبذولة . وأكياسه لعقد الانفاق في سبيل الله محلولة ، فتولى
الاسطول . وجمع به الطول والطول . ووصل به والفرنح من
شوانيه على وجه البحر عقارب تدب ولوا سب سوابل ما تغيب وما
تغب . وسفن حمالة ومقاتلة . وبطس للازواد والميـر ناقله .
فصدمتها مراكبنا بمناكبها . وملاّت معاطنها بمعاطبها . واستطال
الاسطول المنصور على أساطيلها . وجاء حقه بازهاق أباطيلها .
وظلعت في سماء البحر كواكب مراكبنا نجوما . وقذفت لشياطين
الكفر رجوما . واقبلت سواريه بالرواسي . مبرمة الأمراس محكمة

المراسي . وقطعت اللجة بأشباه أمواجها . وسدت فجاجها بأفواجها . ونكست أعلام الاعلاج عن أثباجها . ووافت أساودها السود بالأسود . وسدت عقبانها الآفاق بأجنحة الرايات والبنود . وطارت بقوادم المجانيف وخوافيها . وزارت بجوارح المقانيف وعوافيها . فجاءت فجأة وسفن العدو كالجبال تمر مر السحاب . وتطوي اللجة كطي السجل للكتاب . قصبتها وصدعتها . وردتها وردعتها . فكانما نعت غربانها ببين أحبة الكفر أعادها . واناحت طعائن الضغائن على شواني . شوانيتها . وعادت قوامص الفرنج فيها قنائص جوارح جواريتها . فأول ما ظفر الاسطول المنصور . بشيني للفرنج عظيم الشأن . عاد طاغ بأهل الطغيان والعدوان فقتل مقاتلته . وتبع ما يليه . فوقعت بطشته الكبرى ببطسه كبيرة . تشتمل على ميرة لهم ونخيرة . وأمتعة كثيرة . وتفرقت سفن الفرنج أيدي سباً . وأصلد زندهم وكبا . وعادوا محصورين محصورين قد دفعت مراكبهم التي دافعت عن مباركهم . وايقنوا أنهم تورطوا في مهالكهم . وسيرت بوصول الاسطول كتب إلى الاقطار . وبشر المسلمون بما حصل به من الاستظهار .

ذكر فصول انشأتها فيها

منها فصل:

ونا رأينا أمدادهم في البحر متضاعفة . وجموعهم متكاثفة . استدعينا الاسطول المصري المنصور فجاءها فجأة . وامتد اسطرا على طرس البحر أعيت متأملها قراءة . وأقبلت جواريه جوارح من قنائصها القوامص . وصدمت شوانيه شواني الشناة فعادت مراكبهم وهي نواكص . وطارت غرباننا ببين أحبة الكفر أعداء الاسلام ناعبة . وأطردت على طرائد الفرنج فطردها غالبية لا

لاغبة . وظفرت أول يوم الورود بسفن للعدو معمرة . وألهمت في الماء على أهل النار كل نار للنكال مسعره . وانقطعت طرق الفرنج البحرية فاستطالت بها أساطيلنا فذهبت وجاءت . وعملت ما شئت . وتبعتهم مرارا وبالغنائم فاءت. وأعشت أعين الرائيين كلما تراءت . فضاقت بها العداة ذرعا . ولم تجد من بعدها مطمعا ولا مرعى .

فصل من كتاب

صدر الكتاب بورود الاسطول المصري بالسطو الشديد والبأس القوي . فأرتاع الكفر من وصوله وصوله الرائع . وذل جمع الكفر لعزه الجامع . وجاء بكل شيني شاني . لثائن الدين واجيء مفاجع للعدو بالهلاك مفاجيء . مفرق لمراكب الشرك المجتمعة . مضيق شاهج مضارها المتسعة . فطحن مناكب مراكبها . ووسع معاطن معاطبها . واستولى منها حالة وروده على عدة للملاقة مستعدة . ولامداد اعانتها ممن وراءها مستمة . وقتل من فيها من الرجال . وغنم ما وجد فيها من العدد والأموال .

فصل من مكاتبة أخرى:

وصل الاسطول المنصور في كل شيني شاني للشرك شائن . زائد لبهجة الاسلام زائن . زائر بكل أسد زائر . سائر بكل مقدم إلى مقام الاقدام سائر . وكانت الفرنج قد جهزت مراكبها . وأرهقت غروبها وسنمت غواربها . وملاؤها برجال أيديها على قوائم القواضب قواضب . وأرجلها على الثبات في روابي متون سفنها رواضب . وهم على انتظار الاسطول ليطاولوه . ويلقوه وبالمدافعة ويجاولوه . فلما وصل وصال . وراع أمره وهال . وجلا عليهم

الاجال والآجال . بتوا المراسي والحبال . وانهزموا بسفنهم وأننت قوتهم بوهنهم . واستولى على عدة منها بالعدد والرجال والذخائر والاحمال مملوءة وسلبهم كل ما أعدوه فيها من قوت وقوة .

والفصول كثيرة وإنما ذكرت منها ما وصف صورة الحال على جليتها . وأعرب عن حقها وحقيقتها .

ذكر ما اعتمده السلطان من تقوية البلد ونقل الرجال والذخائر والعدد .

ولما اشتد البرد وتوالت الغيوث . وتبحرت السهول . والوعوث . وحالت الاحوال ولاحت على خلاف المراد الاحوال . وتعذر الخروج إلى تلك المروج . وامتنع على السالك قصد أولئك العلوج . وزال حكم النزال . واستقال من استقل بالقتال . شرع السلطان فيما هو أنفع وأجدى وأنجع وأنجى . وأرجع بالاحتياط والحزم وأرجى . وهو تقوية عكا بالميرة والنخيرة . والاسلحة الكثيرة . والرجال الحماة . والابطال الكماة . فنقل اليها في المراكب جماعة من الامراء الامثلاء بأجنادهم . فدخلوا اليها بعددهم وأزوادهم . واستظهر البلد أيضا برجال الاسطول ورؤسائه وقواده . فما دخل أحد فيه الا بزيادة في زاده . وكانوا زهاء عشرة آلاف بحري حربي . على الجري إلى الموت جري . فامتلا البلد بكل منتخب منتخ . مرخص مهجته الغالية للاسلام مصرخ . وانتفع بهم في جذب المنجنقات . والرمي في العرادات . والحذف بالذفافات . والاحراق بالزراقات . والزرق بالحرقات . والقاء القوارير . وانكاء المساعير وتطريح النار . وتطويح الاحجار . ومواصله القطاعات . والزيارة بالزيارات . وتوتير الجروح والزنبوركات . وتطير الناوكات . الذواكي من مقاتل العدو الى الوكنات . ومناشبة الفرنج في كل وقت بالأخذ والوقذ . والجد في الجد والجد . وطروقهم ليلا على سبيل التلصص .

وسوقهم على وجه التصيد والتقنص . وكبسوا ليلة سوق الخمارات والسواهر . وسبوا عدة من المستحسنات الفواجر واستنصروا بذلك واستبشروا . واجترأوا منه على ما أجروا . وكذلك من عندنا يدخل اليهم الرجال متسرقين . ويأتونهم من كل جانب مجتمعين ومتفرقين . فمن قدر على حصان أخذه وأخرجه . ومن تعذر عليه اخراجه عقره وبعجه . ومنهم من يهجم على الرجل في خيمته ويرهبه بمد مديته . ويسلبه سكونه بسكينه . ويجعله ان لم ينجذب معه من حينه على يقينه . فيقوده بخطام القهر . ويجذبه بخدام الأسر . ووقع القوم من هذا في بلاء مبل . وعناء عن حب الحياة مسل . فقد كثر اليهم الاجتياز ومنهم الاحتياز . وشق عليهم الاحتراس والاحتراز . وتحيل الناس في اغتيالهم بكل طريق . وازداد فرقههم من كل فريق . وأعدت الحال من الليل إلى النهار . والمكابرة والجهار . حتى كان رجالنا يختفون بالحديث في أجراف الانهار . فاذا صادفوا فارسا ورد الماء فاجأوه بالقتل أو الاسار .

ذكر حال نساء الفرنج

وصلت في مركب ثلاثمائة امرأة افرنجية مستحسنة . متحلية بشبابها وحسنها متزينة . قد اجتمعن من الجزائر . وانتدبن واغتربن لاسعاف الغرباء . وتأهبن لاسعاد الاشقياء . وتراقدن على الارفاق والارفاق . وتلهبن على السفاح والسفاد . من كل زانية نازية . زاهية هازية . عاطية متعاطية . خاطية خاطية (٤١) . متغنية متغنية . متبرزة متبرجة . نارية متلهبه . متدقشة متخضية . تادقه . فاتقه . راقعة خارقة . مارقة رامقة . قاسرة سارقة . فارجة فاجرة . فاتنة فاترة . مشتهاة متشهوة . ملهاة متلهية . متفنة متفتية . ناشية منتشيه . متشوقة متسوقة . مقترحة محترقة . متحبة متعشقه . حمراء مرجاء . نجلاء كحلاء . عجزاء هيفاء . غناء لفاء . زرقاء ورقاء . متخرقة خرقاء . تسحب غفارتها .

وتسحر بنضارتها نظارتها . وتثني كأنها غصن . وتتجلى كأنها
حصن . وتميس كأنها قضيب . وتزييف وعلى لبتها صليب . وهي
بائعة شكرها بشكرها . باغية كسرهما في سكرها . فوصلن وقد
سبلن أنفسهن . وقدمن للتبذل أصونهن وأذفسهن . وذكرن أنهن
قصن بخروجهن . تسبيل فزوجهن . وأنهن لا يمتنعن من العزبان .
ورأين أنهن لا يتقربن بأفضل من هذا القربان . وتفرين بما ضربنه
من الخيم والقباب . وانضمت اليهن أترابهن من الحسان الشواب .
وفتحن أبواب الملاذ . وسبلن ما بين الافخاذ . وبحن بالاباحة .
ورحن إلى الراحة . وأزحن علة السماح . ونفقن سوق الفسوق .
ولفقن رتوق الفتوق . وتفجرن بينابيع الفجور . وتحجرن بنزو
الفحول منهن على الحجور . وعرضن الامتاع بالمتاع . ودعون
الوقاح إلى الوقاع . وركبن الصدور على الاعجاز . وسمن
بالسلعة لذوي الاعواز . ودمن على تقرب خلاخلهن من الاقراط .
ورمن فرشهن على بساط النشاط . وتهدفن للسهام . وتحللن
للحرام . وتعرضن للطعان . وتضرعن للاخدان . وممدن الرواق .
وحللن حين عقن النطاق . وصرن مضارب للاوتاد . واستدعين
النصول منهن إلى الاغماد . وسويون أراضيهن للفراس .
واستنهضن الحراب الى التراس . واستتفرن المحاربيث إلى
الحرث . ومكن المناقير من البحث . وأنن للرؤوس في دخول
الدهاليز . وجرين تحت راكبيهن على ضرب المهاميز . وقربن
الاشطان من الركايا . وفدوقن النبال في أعجاس الحنايا . وقطعن
التكك . وطبعن السكك . وضممن الاطيار في أوكار الاوراك .
وجمعن قرون كباش النطاح في الشباك . ورفعن الحجر عن
المصون . وترفعن عن ستر المكزون . ولفقن الساق بالساق . وشفين
غليل العشاق . وكثرن الضباب في الوجار . وأطلعن الاشرار على
الاسرار . وطرقن الاقلام إلى الادوية . والسيول إلى الاوبية .
والجداول إلى الغدران . والمناصل إلى الاجفان . والسبادك إلى
البواتق . والزنانير إلى المناطق . والاحطاب إلى التنانير . وذوي
الاجرام إلى المطامير . والصيارف إلى الدنانير . والاعناق إلى
البطون . والاقذاء إلى العيون . وتشاجرن على الاشجار .

وتساقطن على الثمار . وزعمن أن هذه قرربة ما وفوقها قربيه .
لاسيما فيمن اجتمعت عنده غربة وعزبه . وسقين الخمر . وطلبن
بعين الوزر الأجر . وتسامع أهل عسكرنا بهذه القضية . وعجبوا
كيف تعبدوا بترك النخوة والحمية . وأبق من المماليك الاغبياء
والمدابير الجهلاء . جماعة جذبهم الهوى . واتبعوا من غوى .
فمنهم من رضي للذة بالذلة . ومنهم من ندم على الزلة فتحيل في
الذقلة . فان يد من لايرتد لا تمتد . وأمر الهارب اليهم لاتهمه يشتد .
وباب الهوى عليه يستد . وما عند الفرنج على العزباء إذا أمكنت
منها الأعزب حرج . وما ازكاهما عند القسوس إذا كان للعزبان
المضيقيين من فرجها فرج . ووصلت أيضا في البحر . إمراة كبيرة
القدر . وافرة الوفر . وهي في بلدها مالكة الأمر . وفي جملتها
خمسمائة فارس بخيولهم وأتباعهم . وغلمانهم واشياعهم . وهي
كافلة بكل ما يحتاجون اليه من المؤونة . زائدة بما تذفقه فيهم على
المعونة . وهم يركبون بركباتها . ويحملون بحملاتها . ويثبون
لوثباتها . وتثبت ثباتها لثباتها .

وفي الفرنج نساء فوارس . لهن دروع وقوانس . وكن في زي الرجال .
ويبرزن في حومة القتال . ويعملن عمل ارباب الحجا وهن ربات
الحجال . وكل هذا يعتقدنه عبادة . ويظن أنهن يعقدن به سعادة .
ويجعلنه لهن عادة . فسبحان الذي اضلهن . وعن نهج النهى
ازلهن . وفي يوم الواقعة قلعت منهن نسوة . لهن بالفرسان أسوة .
وفيهن مع لينهن قسوة . وليست لهن سوى السوابغ كسوة . فما
عرفن حتى سلبن وعرين . ومنهن عدة استبين واشترين . وأما
العجائز . فقد امتلات بهن المراكز . وهن يشدن تارة ويرخين .
ويحرضن وينخين . ويقلن أن الصليب لايرضى الا بالاباء . وانه
لابقاء له إلا بالفناء . وأن قبر معبودهم تحت استيلاء الاعداء
فانظر الى الاتفاق في الضلال بين الرجال منهم والنساء . فهن
للغيرة على الملة ملن الغيرة . وللنجاة من الحيرة ناجين الحيرة .
ولعدم الجلد عن طلب الثار تجلن . ولما ضامهن من الامر تبلهن
وتبلدن

ذكر ما هداه عز الدين مسعود

ابن مودود بن زنكي بن أفسنقر صاحب الموصل
من النفط الأبيض والرماح والتراس

ولما عرف صاحب الموصل ما شرع فيه السلطان من تكثير العدة .
وتقوية النجدة . بكل ما يمكنه من أسباب البأس والشدة . سير من
أحمال النفط الأبيض مع عزة وجوده ما وجده . ومن التراس
والرماح من كل جنس أحكمه وأقومه وأجوده . وشاع الاعتداد .
وذاع الاحماد . ودل ذلك على اتشاج الوداد . والامتزاج والاتحاد .

وكتبنا في شكره

وصل السلاح . وتم للاسلام من قروح الكفر الاقتراح .
واستجيدت التراس والرماح وفارقت للقائها أجسام الاعداء
الارواح واتصل بالنفط الواصل إلى أهل النار الاحتراقي . وطفقت
وضربت منهم النحور والاعناق . وقد هدا بما أهداه النصر إلى
الهدى . والردي الى العدا . وأجود الأكارم وأكرم الاجاود من جاد
بما أجدى . واهدى ما هدى . وعاد من المكرمة بما بدا . لأخلى الله
المجالس من يد يتخذها . وأياد يسيرها وينفذها . ومحمدة
يستخلصها لنفسه ويستنفذها . وحمية للدين يقوم بها حماة الشرك
ويقنها . ونخوة للاسلام تمهي حدود الهمم النابية وتشحذها . وما
طلب من العدة ما طلب إلا للحاجة الحاقة . والضرورة الشاقة . فان
الحروب المتطاولة المدد . أتت على جميع العدد . فالسمر متحطمة .
والبيض متلثة . ووجوه الصفايح بلثام النجيع متلثة . وعيون
النصال عن حواجب القسي إلى مقل الاقران رامقة مارقة . وحمام
الحمام في مريشات السهام بكتب الكبت من حنايا المنايا السائقة

سابقة . وقد أفنى المصال النصال . والنضال النبال . والرماء
الافواق . واللقاء العتاق . والمصاع المناصل . والقراع الذوابل .
والصيال الصواهل . وعمل الجهاد الدائم العوامل . فلا ضامر الا
وهو وإن كان غالباً لاغب . ولا صارم الا وهو في دم العدو الفائض
ناضب . ولا جارح إلا وهو مجروح . ولا قارح الا وهو مقروح .
ولا جامع الا وهو مصحب . ولا باشر الا وهو مقطب . فباية عدة من
هذه العدد انجد . غار الحمد وأنجد . وتاسس الشكر لانعامه
وتمهده . ومن العجب أن العدة تبنى ولا تبنى العداة . وتنمو على
الحصاد وكأنها النبات . ويتسارع الى أمداها الموت والهلاك
ويخلفها في إبدالها الحياة . فان البحر يمدهم . والكفر إلى الردى
يردهم . وكلما اخذتهم الايام فان الليالي تجدهم . وما جمعهم
القدر إلا ليفرقهم . وما حمل أهل النار في الماء الا ليغرقهم في دمائهم
وبنار البواتر يحرقهم .

ذكر عماد الدين صاحب سنجار وما عزم عليه من تجهيز ولده

ورد الخبر بان عماد الدين قد جهز عسكره . وقدم عليه قطب الدين
ولده وسيره . فقال السلطان هذه أيام الشتاء . ولا ينتصف فيها من
الأعداء . ونحن محتاجون الى العسكر في الربيع . واستتهاض
الجموع الى شمل النصر الجميع . فكتب بتأخيره . والتمهل في
تسييره . فتأثر قلب عماد الدين برد ولده . ورجوعه بعد المسير من
بلده .

فكتب اليه السلطان من مكاتبة

كان لما انتهى اليه صدق اهتمام المجلس بامرہ . والتقدم بتجهيز
العسكر الى نجدته بكل ما يعود بسرور سره وانشراح صدره .

وعرف مسير قطب الدين ادم الله له مضاعفة العلاء . وأقر باذواره
عيون الاولياء . وظن انه لم يقدم حركته المقرونة بالحسنات . ولم
يقرب من عبر الفرات . اشفق عليه من التعب . ليكون عسكريه
مستريحا عند الطلب . فإن الحاجة اليه في الربيع ادعى . ومصالحة
الاسلام في ذلك الاوان أولى أن تراعى . ولو عرف أن الركاب
القطبي قد دنا . لبشرته السعادة بنجح المنى . ولاستقبله بالذفوس
والارواح . وتلقته القلوب بالقبول العبق بزشر الاشرار . وان
اشتعل القلب بما فاته من حظ من الاستسعاد بوفوده . فقد بشر
أمله بنضارة عود نجحه عند عوده ونجاز وعوده .

وفي آخر هذه السنة ندب الرسل الى الاقطار والامصار .
للاستنفار والاستتصار . وبت الكتب وكتب بالبت . وحث الرسل
وأرسل بالحث . وبعث المرعين لاستبطاء البعث . وانهض للتبليغ
كل بليغ . وجرع كأس التدبير في حسن السفارة كل مشيع مسيغ .
وسرح عدنان النجاب الى سيف الاسلام باليمن . وشرح في الكتاب
اليه ما جرى من حوادث الزمن . ووصفت له جليلة الحال . وما نحن
عليه من دوام القتال . وطلبت منه الاعانة بالمال . واستعين
واستنجد . واستلين واسترقد . وحض على حظه من انجاد
الاسلام . وان يكشف بسني طلوعه من الاظلام . وأرشد الى نهج
السماح . وتسيير كل ما يقدر عليه من العدد والسلاح . وتجريد
الجرد العتاق . وتوفير الحمول التي تخرجها في سبيل الله يد
الانفاق . وكوتب قزل ارسلان بهمان . بما دنا منه عزمه ودان .
وحكم على كل ملك بحجة الايمان . وهدى إلى محجة الاحسان .

ذكر وصول رسول سلطان العجم ركن الدنيا والدين
طغرل بن ارسلان بن طغرل بن محمد بن ملكشاه
بالالتجاء الى ظل السلطان وارتجاء ماله من فضل
الاحسان.

ورد من عند طغرل سلطان العجم . أمير من خواصه هو أيلدكز
أمير العلم . ف ضرب له من الخيم الخاصة سراق . ووفرت في
الضيافة له المنافع والمرافق . ومضمون رسالته أنه خانته من امرائه
ومماليكه العامة والخاصة . وخصته في سفراته ونكباته الخاصة .
وأن عمه أخا أبيه من أمه قد استولى على ممالكه . وضيق عليه سعة
مسالكه . والجاه الى هذا الالتجاء . وهو بقوة من هذا الجانب
قوي الرجاء . وقد وصل الى حد مملكته بقرب اربل . و اراد الوصول
الى الموصل . لكنه نزل في بيوت عز الدين حسن بن يعقوب بن
قفجاق . ينتظر منكم الاصراخ والاشفاق . وعز الدين حسن من خدم
دولتكم . والمستمسكين بعصمتكم . والمستوثقين بذمتكم . وانا عنده
مقيم . وعلى سنن الأمل مستقيم . فان استقدمتني اليك قدمت . وان
أمرت أمراء أطراف ولايتك بمشايعتي وجدت من النصر ما عدمت .
وانا الآن هزيل عامك . ونزير إنعامك . ووصل معه كتاب بخطه . قد
بث حزنه فيه بشرحه وبسطه . وأبدى الاستكانة . واستدعى
الاعانة . و اردف رسولا برسول . وكرر سؤالا فيما التمسسه من
سول . فاعتذر السلطان بما هو فيه من شغل الجهاد الشاغل . وانه
لامطمع مادام العدو ملازما لنا في مفارقة الساحل . فكتب إلى زين
الدين يوسف صاحب اربل والى حسن بن قفجاق والى نائبه بشهر
زور بالتوفر على خدمته . والارتياح لمصلحته واشاعة معونته . ثم
ندب كبيرا للسفارة بينه وبين مظفر الدين قزل أرسلان وهو جمال
الدين أبو الفتح اسماعيل بن محمد بن عبد كونه نسبي . ليكون
القيام بهذا الامر من نصيبي . وسعى في المصالحة والمصالحة .
والمصافاة على صفة المودة والمصافحة وحفظ حرمة تضرعه
وتذرعه . وسياتي ذكر ما آل اليه الامر في موضعه .

وتوفي الفقيه ضياء الدين عيسى الهكاري بمنزل الخروبة سحرة يوم الثلاثاء تاسع ذي القعدة سنة خمس وثمانين وخمسمائة . واقد كان من الاعيان . ومن مقربي السلطان . ومن أهل الجد في نصره الايمان . فنقله الله الى الجنان . وحمل من يومه الى القدس فدفن به . وكانت في هذه السنة وفاة الفقيه الكبير شرف الدين أبي سعد عبد الله بن محمد بن أبي عصرون بدمشق يوم الثلاثاء حادي عشر شهر رمضان . وهو شيخ المذهب الذي لم يخلفه مثله . ودفن معه فضله . وكان مولده في أوائل سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة . وكانت وفاة الامير عز الدين موسك بن جكو بكرة يوم الجمعة النصف من شعبان منها وكان من الابرار الاخيار . والعظماء الكبار .

ودخلت سنة ست وثمانين والسلطان مقيم بعسكره بمنزلة الخروبة . وكل من الملك العادل والملك الأفضل والملك المظفر في خيمته المضروبة . وعكا محصورة . وجموع الفرنج الى حصارها مدشورة . وعلى تعذرها عليهم مدسورة . وخرجت هذه السنة والحصر مستمر . والسلطان في ملازمة القتال مستقر . وحييا النصر في الاحيان مستدر . وقد تسنت للاسلام مباحج . ووضحت للسعادة مناهج . وبانت للقتال مداخل ومخارج . وانقطعت بين الوشيح وأرخام الارواح وشائج . واشتدت لتباريح الأشواق الى لقاء الاعداء لواج . وتالفت في الاقدام مقدمات ونتائج . ولناجح المنى منا في مدى الرجاء مدارج . ولخطباء الظبا في منابر الطلى معارج . وللجهاد جهات . وللعزمات أزمات . واتفقت حسنات وحسنات اتفاقات . وكانت لنا مسرات هي لأعدائنا مساءات . ووقعت عجائب . وأعجبت وقائع . وأبدعت غرائب . وأغربت بدائع . واجتمعت كتائب . ونابت نوائب . وصدفت تارة وكدرت مشارب . وساعدت الاقدار . وتباعدت الاكدار . وهلك من الفرنج المحاصرين في الوقائع عدد لايقع عليه الحصر . ولكم أسفر صبح أصحاب فيه جماع الظفر وسفر النصر . وسيرد حديث كل حادث بمفرده . ويجدد ذكر كل متجدد بمجرده .

ذكر وقعة الرمل

كان السلطان يركب احيانا للصيد . بعد ان يحذر على ما يظهر للعدو من الكيد . وهو لا يبعد من الخيم . ولا يقرب من مسائل الليم . وركب يوما في صفر على عادته فتصيد . وطاب له قرب القنص فأبعد . واليزكية على الرمل وساحل البحر من الميسرة . على الحالة المحتاطة المستظهرة . فخرج الفرنج وقت العصر في عدد لا يدخل في الحصر . وتسامع أصحابنا بهم فزحفوا اليهم . وحملوا عليهم وطردهم إلى خيامهم . وأخذوا عليهم من خلفهم وأمامهم . وما زالت بينهم حملة وحملة . وشلة وشلة . وسله وسله . وركضة وركضة . ونفضة ونفضة . ومشقة ومشقة . ورشقة ورشقة . وجذبة وجذبة . وضربة وضربة . وشدة وشدة . وردة وردة . وضمة وضمة . ولة ولة . وأصحابنا ظاهرون . وبالمراد ظافرون . ولهم في كل دفعة من العدو قلائع . وللفرنج في كل كرة على الرمل مصارع . حتى فني الذشاب وبقي الانتشاب . وشاع نداء الاصحاب باستدعاء الذشاب . والفرنج لا يعجزهم الا الرماء . ولا يهتكهم إلا الاصماء . ولا يذفرهم الا رنة الاوتار . ولا ينذرهم الا أنة القسي بالدمار والبوار . فلما أنسوا بخلو الجعاب . تجاسروا على الذنوم من تلك الشعاب . وحملوا حملة واحدة ردوا بها أصحابنا الى النهر . وكادت تعبت بهم يد القهر . فثبت من العادلية في وجوه القوم صف مرصوص البنيان . وشرعوا الى نصور تلك الذئاب ثعالب الخرصان . واستشهد جماعة من الشجعان استحلوا طعام الطعان . وشاقهم جني الجنان . وذلك انهم لما ردوا الفرنج قلعوا فرسانا . وصرعوا اقارنا . فنزلوا بعد فرسهم . لسلب لبسهم . فمرت بهم الحملة في الاوبة . وأعجلتهم عن الركبة والوثبة . وأظلم الليل فافترق من معاركها الجمعان . واجتمع في مراكزها الفريقان . وكثر التأسف على من فقد . وكان الحاجب ايد غمش المجدي ممن استشهد . وزاد التلهف على فوات الفرصة . وكيف أغفل ذلك القنص عن تلك القنصة . فان العدو صار عرضة للصرعة في تلك

العرصة . ومن نوادر هذه الواقعة . وطرائف هذه الدفعة . ان مملوكا للسلطان يقال له سرا سنقر . وهو يتناول في كل معترك ولا يقصر . عثر به جواده . وثبت على الجراة فؤاده . ورجله عثاره . وأسلمه أنصاره . فقبض من أسره شعره ليجذبه . وسئل آخر سيفه ليضربه . فضرب يد قابض شعره فسيبه . واشتد سرا سنقر يعدو ناجيا وللخلاص راجيا . وهم يعدون وراءه ليمسكوه ويهلكوه . وفاتهم بعون الله فلم يدركوه . وهذا قذفته المنون من لهاتها بعد ازدراده . وانتضاه الحمام لمضاء غراره بعد اغماده .

ذكر فتح شقيف أرزون

وفي يوم الاحد خامس عشر ربيع الاول تسلم بالامان شقيف أرزون . واستمر الحصار عليه منذ نزولنا في السنة الماضية بمرج عيون . وصاحبة ارناط صاحب صيدا في دمشق لاجله معتقل . وباب خلاصة دون فتح شقيفه مقفل . وذلك أن الشقي في الشقيف فني زاده . وعز اجتهاده . ومرد عليه في الحفظ مراده . وخانه في الصبر ارتياؤه وارتياده . فسلمه على أن يسلم صاحبه . وتخلص في النجاة مذاهبه . وخرج هو ومن معه وترك الشقيف بما فيه . وتركه للاسلام بما يحويه . وافرج عن صاحب صيدا وصار الى صور . ولبس من التشريف والتسريح حبير الحبور .

ذكر حال عكا ودخول العوامين اليها ووصول الكتب على أجنحة الطير منها

كان السلطان اغتتم هيجان البحر . وحضور مراكب الاسطول من مصر . فمزال يقوى عكا بتسيير الغلات والاقوات والقوات اليها في المراكب . وقد ملاها بالنخائر والاسلحة والكمات المساعير والحنة المحارب . فلما سكن البحر . وأمن غائلته الكفر . عادت مراكب

الفرنج الى مراسيها . ودبت عقاربها وأفاعيها وشدت مراكبنا في
موانئها . وانقطع عنا خبر البلاد . وامتنع عليه دخول المدد والعدد .
فانتدب العوام للسباحة . وحملتهم السباحة لهم بالرغائب على
وضع المنهج في ميزان السماحة . وعلّموا انهم اذا سبحوا ربحوا .
واذا سلموا فراحوا فرحوا . حتى صاروا يحملون نفقات الاجناد
على اوساطهم ويخاطرون بانفسهم مع احتياطهم . ويحملون كتباً
وطيوراً . ويعودون بكتب وطيور . وكتب اليهم ويكتبون الينا على
أجنحة الحمام بالترجمة المصطلح عليها سر الامور . ويودع المكتوب
والمكتوم ما نطلعهم عليه من الخفي المستور . وكان في العسكر من
اتخذ حماماً تطوف على خيمته وتنزل في منزلته . وعمل لها برجاً من
خشب . وهرادي من قصب . ويديرها على الطيران من البعد .
ويوردها لشبعها وربها احب الحب واعذب الورد . وكنا نقول ماهذا
الولع بما لا يذفع . والوله بما لا ينجع . حتى جاءت نوبة عكا
فدفعت . وشفت الغلال وذقعت . واتت بالكتب شارحة سارحة .
ووفت بمفاتيح الغيب بالبشرى مفاتحه . فصرنا نحبو صاحب
الطيور بالاطراء . ونخصه بالمدح والثناء . ونامرّه بالاستكثار .
ونطلبها منه مع الليل والنهار . حتى قل وجودها عنده لكثرة
الارسال . وكنا نعرف بها جلية الاحوال . ونعلم ان الله علمه ذلك
البر . والهمة ذلك السر . فانه اطلع على ما يدفع اهل الاسلام .
فحمى حمى هداهم بهداية الحمام . فانها امينة على الاسرار ضمنية
بالاسفار . قمينة بكرامة الاحرار . مصونة من بين الاطيوار . جريئة
على الاخطار . بريئة من الاعذار . معدودة من الانخار . مودودة مع
الاخيار . وحمام البلد الينا مع العوام محمولة . وعقود الاكياس
عليهم محلولة . والضرورة تحمل على تحمل الضرر . والغرارة تبعث
على الانبعاث الى الغرر . والفقر يدعو الى ركوب الخطر . وفيهم
من سلم مرارا من القوم . فاجترأت نفسه وأنس بالعموم . ولقد عطب
عوامون . بالامانة قوامون . فما ارتدع الباقون . وما قالوا انهم لما
لقي رفقاً وهم لاقون

ذكر ما دبره السلطان عند انحسار الشتاء وانكسار البرد في الانتهاء

ولما انحسر الشتاء وانكسر ، وانتشى الربيع وانتشر . أمر السلطان عساكره بالعود فتوافقت أمداد أجوادهم توافي أمداد الجود . فكان أول من وصل الملك المجاهد أسد الدين شيركوه بن محمد بن شيركوه صاحب حمص والرحبة . وهو بأكمل العدة وأحسن الأهبة . وسابق الدين عثمان صاحب شيزر . وهو الذي ببسالته يقسر الليث القصور . وعز الدين إبراهيم بن المقدم المقدم . الهمام بن الهمام . والكريم بن الكرام . والاسد الضرغام والسيد المقدم . ووفد معهم جموع من الأجناد والأعيان . وحشود من العرب والتركمان . ففاض بهم الفضاء . واكتسى برياشهم العراء . وكثرت الجنود . وانتشرت البزود . وحلقت عقبان الألوية . وتلاحقت نؤبان الأودية . ولعت بوارق البيارق . وارتفعت عوائق البوائق . وحملت بواشق السوابق . وثبتت وثائق العلائق . ونبتت شقائق العقائق . ونظرت أحداق الحدايق . ويسرت طرائق الطوارق . وأعجبت أزهار الرايات وأنهت غايات الغايات . ونزلت بحسن الصنيع نصوص النصول . ودارت بيد الربيع فصوص الفصول . وعلت الأعلام . وحلت الأحلام . ومضت المواضي ومضت . واقتضت القواضب القواضي وقضت . وعريت البيض من الحلى . وغربت السمر بالكلى . واشتاقت لدات اللدان إلى العناق . وتماقت شفاه الشفار إلى لثم الأعناق وتحدث في المجارة بأجراء العناق . وطالت رقاب الرقاق إلى غلاظ الرقاب . وأعجم عن جمجمة الجماجم أعراب العراب ، وحمي عزم البطل . ومحي رسم الملل . وعاد الجد إلى جدته . والحد إلى حدته . وخرج البرد من عدته . وفاز النصر بعدته . وجليت بنت الغمد في زي الهند وري الفرند . وقطف ورد الورد للشد إلى الورد . وقال الناس إلام ننتظر . وعلام نصبر ولم لانشتغل وكيف لانشتغل . وحتام القعود . ومم الركود . ولماذا الرقود . وقد نظرت السعود . ونصر العود . وصدقت من

أصحابنا الوعود . فرحل السلطان وتقدم . وعزم علي طلب العدو
وصمم . ونزل على تل كيسان يوم الاربعاء ثامن عشر ربيع الاول .
في الفصل الاعدل والفضل الاكمل . وتداني العسكران . وتعالى
العثيران . وتقارب القرنان . وتحارب الحزبان . وترتب العسكر
الاسلامي في نزوله ميمنة وميسرة وقلبا . وفي ركوبه على تريب
منزلهم طالبا طالبا . فكان الملك المظفر تقي الدين في آخر الميمنة
الميمنة . والملك العادل في آخر الميسرة الميسرة المنصورة المصونة ،
والملك الافضل في اول ميمنة القلب وأخوه الملك الظافر في اول
ميسرته على الجنب ، والكتائب مكتبة ، والمقانب مقنبة ، والسماء
بالنقع النائر مذقبة ، والارض بوقع الحافر مذقبة ، والعساكر
مترادفة مترادفة . متتابعة متواردة ، متسابقة متلاحقة ، متناسبة
متناسقة . متوالية متوافية ، متجارية متبارية ، مذقضة كالبزاه ،
منفضة الى العداة ، داعية الى الانتصار ، عابية على الكفار .

ذكر وصول رسول دار الخلافة

مع ضياء الدين الشهر زوري في جواب رسالته

ووصل يوم الاثنين سادس عشر شهر ربيع الاول رسول دار
الخلافة ، بالنجدة والعارفة والرحمة والرافة ، وهو الشريف فخر
الدين نقيب مشهد باب التين بمدينة السلام . فتلقاه السلطان
بالاحترام والاكرام ، واحتفل لوصوله . واستقبله لقبوله ، وتلقاه
الامراء على الترتيب ، فمنهم من تقدم نحوه الى البعيد ومنهم من
وقف له بالقرب . ثم اخوة السلطان وأولاده واحدا بعد واحد .
وماجدا بعد ماجد . وبادئا بعد عائد . ثم ركب السلطان اليه عند
القرب من سرادقه . وأدناه اليه بتعانقه ، ثم سار معه قليلا (٤٧)
وأصحبه من خواصه وأمرائه قبيللا . حتى نزلوا به في بار كاه له
مضروب ، وخصه بصنوف من اللطاف وضروب ، ووصل معه
حملان من النفط الطيار . وحملان من القنا الخطي الخطار ،

وتوقيع بعشرين الف دينار . تقترض على الديوان العزيز من التجار ، وخمسة من الزرايين الذفاطين المتقنين صناعة الاحراق بالنار . فاعتد السلطان بكل ما أحضره . وأخلص الدعاء للديوان العزيز وشكره . غير انه ابدى رد التوقيع مع الصنيع ، وقال كل ما معي من نعمة امير المؤمنين وعارفته ، ولقد نعشني ما شملني من عاطفته ، ولعل الله يوفقني للقيام بالفرض ، ويغنيني عن الالتزام بالقرض ، وأركب الرسول مرارا معه واره مبارك النزال . ومعارك القتال . ومصارع الرجال . ومجامع الابطال . ومطالع اللقاء . ومواضع الهيجاء . ومصالت الاقدام . ومنابت الاقدام . ومواقف الصفوف . ومصاف الوقوف . وأماكن البعوث . ومكان اللبوث . وتل الفضول . وبقية التلول . حتى يشهد بما يشاهد . ويبين له المجتهد والمجاهد . وأراه ما لم يره لياثر أثره . ويخبر بجملته ويكمل خبره . وأقام الرسول طويلا . وأقام له السلطان من طوله دليلا . ووفر له عطاء جزيلا . وعرفا جميلا . حتى استانن في العود فعاد . واستصحب الشكر والاحماد .

ذكر مقاتلة الفرنج عكا بالابراج والاعجاز بها والازعاج

وكان الفرنج منذ نزلوا للحصار . شرعوا في عمل الابراج الكبار ، وركبوا من الاخشاب الطوال . والعمد الثقال . وبنوها وقدموها ، ونصبوها وأحكموها . وسقفوها طباقا . وسمروها بالحديد . وجعلوا لها منه أطواقا ، ووثقوها شدا وشدوها وثاقا . ولبسوها بالسلوخ ، وملاوها بالجروخ . وزحفوا بها الى السور وكشفوا بها الرمي منها بعض صفوف الدور . وتسلسلوا على طم الخنادق ، وتفتيح الطرائق ، ووصل من المدينة عوام ، يخبر بان التلاف بها حوام . وان البلد قد أشرف . والخطر قد أسرف . والابراج علت . والاسوار خلت والبلاء قد عم . والخذق قد طم .

وأنتم إن تم هذا عراكم العار . واظلم على الدنيا والدين بليته
النهار فاحتمي السلطان واحتد وشد واشتد وكرب وركب وكان
يحسب هذا فجاء كما حسب . وزحف الى الفرنج ليشفغهم عن
الزحف ويصرفهم عن الفتح بالحتف . وذلك في العشرين من ربيع
الاول يوم الجمعة . بالجحافل المجتمعة . والغماغم المرتفعة .
والصوارم الملتمة . والصلادم الممتنعة . والاسنة المشرعة والاعنة
المسرعة . والحوائث المنتجة من النجيع . والبيارق المختفة كأزهار
الربيع ، واتفق في هذا اليوم وصول عماد الدين . صاحب دار محمود
ابن بهرام الارتقي . بالجمع الوافر الوفي والعسكر النخي النقي ،
وسار الى القتال على حاله . بخيله ورجاله . وضايقهم السلطان
مضايقة عظيمة . ولم تزل جادة الجد في مقاومتهم مستقيمة . حتى
دخل الليل . ولغبت الخيل . فقوى تلك الليلة اليزك . والزمهم في
الحفظ الدرك . ورجع الى مخيمه مساهدا ساهرا ، مجاهدا بالبكور
نحوهم مجاهرا . فلما اصبح يوم السبت صبحهم بالحرب .
وسبجهم على بحر الكر والكر . ورجل الرجال اليهم . وانزل
النوازل عليهم . وامتزج بياض النهار بسواد النقع . واتسع خرق
الواقعة على الرقع . وانقضى اليوم . وقد انقرض القوم . وتفرق
الجمعان وقت العشاء . عن قتيل غريق في الدماء . أو جريح على
بقية الذماء . ويات الناس في السلاح شاكين . وبنار المذاكي
ذاكين . ولما تم منهم وعليهم حاكين . ورجع السلطان الى خيمة
ضربت له على تل العياضيه . وقد الزمته البسالة الطبيعية ، بالرتوع
في رياض الاخلاق الرياضية . واصبح يوم الاحد راجعا الى قتال
أهل الاحد . واستن من الجد على انهج الجدد . وامر بانتقال السوق
الى قربه ليقرّب من العسكر ، وأيده الله بالنصر الاظهر . والظهور
الانصر . واقام كذلك وهو في كل يوم يغدو وينازل . ويعد ويقاقل . ثم
نقل يوم الاربعاء الخامس والعشرين الاثقال الى المخيم لئلا يغيب
حاضر . ولا يصاب عن الورد صادر . وليكون غلمان العسكر للحرب
مباشرين . ولعشر الكفر بادارة كؤوس الردى عليهم معاشرين .
فانتدب منهم الى الحرب كل مجترىء للوقائع مجترح . وكل محترق

فنظرنا والنار من احد الابراج في السماء بشعلها متسامية . وفي الجو بشرارها متزامية . ومايدرى ما سبب هذا الحريق . وكيف تيسر هذا التوفيق واحدقت النار بالبرج فاذا هو كشجرة من نار . وقلوب المشركين لاستعارها في استعار . ووجوه المؤمنين لاذوارها في استبشار . ثم راينا البرج الثاني وهو يحترق . والنار في اثنائه تحترق . ثم نظرنا الى البرج الثالث فاذا هو يشتعل . وبالسنة النيران يبتهل فما برحنا حتى سقطت ثلاثتها ، وبلفت الينا من صدماتها وخدماتها استغاثتها . وركب السلطان ونحن معه ونزلنا نكتب ببشائر النار . ونسير بطاقتها على أجنحة الاطيار والعجب ان الابراج كانت متباعدة غير متدانية . وقد أبعدنا الفرنج لمسافات متتائية ، فكل واحد منها على جانب من البلد قد كشفه ، وخسف اسواره وكسفه ، فاحترقت على تباينها في وقت واحد . وقدر من الله وارد ، فلم يكن ذلك الاسرا الهيا . ولطفا ربانيا . وفرجا بعد الشدة . وثلجا لصدور المؤمنين بتلك الوقته ، وكان سبب حريقها ان رجلا يعرف بعلي بن عريف النحاسين بدمشق كان قد استأذن السلطان في دخول عكا للجهاد ، واقام فيها باذلا للاجتهاد ، وغري بعمل قدور الذفط وتركيب عقايره ؛ وتعيين كل نوع وتعيير مقاييره ، وتقدير معاييره ، والناس يضحكون منه . ويفضون عنه . ويقولون هذا يضيع ماله فيما لايعنيه . وماهذا الهوس الذي وقع فيه . وهو يعد لذلك العمل الآلات ، ويجد في تلك الادوات ، ويكثر القدور . ويرتب الامور . فلما قدمت الى البلد تلك الابراج ، وحصل من الامتزاج الامتزاج . قوتلت بكل فن ، واننى اليها من الذفط كل قدر وذن . ورميت بكل قارورة محرقة . وكل نفاطة مرهقة . وبالغ في صنعته الزراق فلم يتم في شيء منها احتراق . ووقع الياس . واستسلم الناس . فمضى ابن العريف . بل ابن العريف . الى بهاء العين قراقوش الامير وقال قد راينا ما اعترض من التدبير . وماعرض من التقدير . فافسح لي في رمي هذه القدور . فلعل الله يأتي منها بشفاء الصدور . فانن له على كره . وقال: ماارى لاحراق هذه البروج على يده من وجه . فان الصناع قد ابدسوا والزراقين العارفين بالصناعة يدسوا فلما وجد الانن وزن القدور وعيرها

ورمى بواحدة منها الى احد الابراج في المنجنيق وعبرها واعتبرها
ثم لما استوت رمائته وصحت في الاصابة درايته . رمى بقدر نطف
لانار فيها . وهو يصيبها على اعالي البرج ويسقيها ، والفرنج
يعجبون من الدلال ولايدرون بما وراءه من الشعل ، ثم قذف بقدر
ناريه ، متشعبة بكل بلية فوقعت في الطاقة الوسطى ورمى اخرى
فوقعت في السفلى . فاشتعل البرج من طرفيه الالنى والاعلى ،
وتعذر على من فيه من الفرنج الخلاص وكانوا سبعين . فاحترقوا
اجمعين . وبخل اليه ايضا جماعة لاستنقاذ مافيه فاحترقوا
بدروعهم وسيوفهم . وتقلبت الجحيم عليهم غيظا لا استبطاء حتوفهم .
وتحول ابن العريف الى مقابلة البرج الثاني . ولم يلحقه في احراقه
التواني ، وانتقل الى الثالث فأحرقه . وماكان ذلك بصنعتة منه بل
لان الله وفقه . ومازالت تحترق الثلاثة وتتقد اتقادا حتى عاد جمرها
رمادا ، وبياض نارها واحمرارها في السماء على الارض سوادا .
واحتقرت المجانيق والستائر التي كانت بقربها . (وبهت الذي كفر)
(البقرة ٢٥٨) واسف على نصبه في نصيبها . وخذم الكفار بذلك
الضرام ، وسلوا عما كانوا فيه من غرام . وحبطت اعمالهم . وخابت
امالهم . وركدوا بعد حربهم ، وركنوا الى خزيمهم ، وضلوا في
سعيهم . وتورطوا في بغيهم . وسقط في ايديهم بسقوط ايدهم
وحقيق مكرهم بهم ، وكيدوا بكيدهم ، وخرج رجالنا من البلد فنظفوا
الخندق وسدوا الثغر ، واظهروا بظهور القدر القدر ، وجاءوا الى
مواضع الابراج واماكنها واستخرجوا الحديد من مكانها .
ونبشوا الرماد عن الزرديات التي انسكبت ، وكشفوا عن الستائر
التي تهتكت . فاخذوا ماوجدوا وحصلوا على مااشدوا وأترب من
ترب من تراث ذلك التراب . وعمرت قلوب المسلمين بذلك الخراب .
وبردت من حر تلك النار . وشفي أوامها بذلك الاوار . والحمد لله
الذي جعل تلك النار لاولياته بالبرد والسلام ابراهيمية . وعلى
اعدائه بالحر والضرام جحيمية .

ذكر فصول أنشأتها من كتب الإشارات بالنار

صدرت مبشرة بما أجده الله من الجد . وانجزه من الوعد . واجزله من الرغد . واعذبه حال الظما البرج من الورد . وذلك ماظهر يوم السبت ثامن عشر شهر ربيع الاول من الاذفاق الحسن . والنصر الذي يقصر عن وصفة ذوو اللسن وهو ان اصحابنا بعكا رموا بقدر الذفت عند العدو المدحور . واحرقوا جميع مالهم من المنخور . واحترقت ثلاثة ابراج كانوا قدموها . ودبابات قربوها . ومنجنقيات نصبوها . ولهم منذ تسعة اشهر يجمعون هذه الالات . ويستسهلون عليها الغرامات . حتى اقدموا ابراجا اعلى من ابراج السور بضعف سمكها وقربوها ناكية في الثغر المحروس بفتكها . وشحنوا بالرجال المقاتلة طباقها . واطلوا على مناكب البلد اعناقها . فاشفق الاسلام من نكياتها . واطلت الافاق من غياياتها . وكشفت من البلد جانبا وجبت من سور غاربا . فاقد الله على احراق ما عمل في تلك المدة المدينة في ساعة ، وامسى العدو بقلوب وافئدة مرتابة مرتاعة . وما فصح أسن النيران . على تلك الاعواد خاطبه . وما بسط ايديها على من كان فيها من الرجال للإرواح ناهبة سالبة

فصل

هذه المكاتب مبشرة بالظفر الذي ورت زناه . والنصر الذي قرب ميعاده . وذلك ان اصحابنا بثغر عكا استظفروا وظهروا . وصبروا فانتصروا . ورموا من البلد ابراج الفرنج المنصوبة عليه بقدر الذفت . وانزلوها من سماء الرفعة الى ارض الحط . واطلوا بها أسن النار المنصرمة . ودبت من الابراج المقربة الى الدبابات المقدمه . وعلم العدو ان كرتة خاسرة وان يده عن نيل المنى قاهرة .

فصل

هذه مبشرة بالظفر الهني . والتجع السنني والنور اللامع من النار . والنصر الواري الزناد الطائر الشرار . وهو ظهور اصحابنا بعكا يوم السبت ثامن عشري ربيع الاول . وقد خصهم الله بالنجح الافضل الاكمل وقد كان العدو قدم ابراجه وسلك في المضايقة منهاجه . ولزم في الزحف الدائم لجاجه . فاستظهر الاصحاب عليهم وقت الظهر . ورموهم بقذور النفط المحرقة من الثفر . فطالت السنة النيران تدعو على اهلها بالبور . وتبدي في تضررها تضرعها الينا للاعتذار . وشاهد اهل النار ما اعد لهم في سقر . وتلونا قول الله سبحانه فيهم: كذلك نجزي من كفر (٤٣)

(فصل الى الديوان العزيز)

ولما كان ظهر يوم السبت ظهر اهل الجمعة على اهل الاحد ورمى اصحاب المحصورون المنصورون عند العدو وابرأجه بقذور النفط من البلد فضطبت السنة النيران على تلك الاعواد . بل على تلك الاطواد . والحقها رداء الردى والحقتها بالوهاد . وفرشت رمادها لما تم اولئك المراد . فكانت تلك النار على الكفر ضراما . وعلى الاسلام يرذا وسلاما . واحتترقت الابراج الثلاثة على معتقدي التثليث . ودبت النار الى الدبابات والمنجنقيات بصدمه المنجنقيات . ودبت النار الى الدبابات . بصدمة التأثير وحدمة التآريث، وما طول أسن النار . وافصحها بالدعاء على اهلها بالتبأ . وقد ابدت الى الاسلام بتضرمها وتضرعها وجه الاستبشار . وما احسنها وهي ترمي بشرر كالقصر . ويكسو سنني لهبها وجوه المؤمنين بشر النصر . وما قطعها لداير المشركين وقد خصت باحراق تلك الآلات عن البلد اجنحة الحصر . ويسم بعد عبوس البوس باسم الله ثفر الثفر . وقد بغتت هذه الفجيعة فجأة من

حوته تلك البروج . وبخل الى طبقاتها قوم لاطفاء النار فتعذر عليهم الخروج . وهلك فيها اكثر من ثلاثمائة دارع . وخرج من اهل البلد لما حق الفرج كل مسابق . الى الغنيمة مسارع . وكسبوا من الدروع والمناصل والسيوف . كل ما وجدوه خال رماد تلك الحتوف . وكان القوم قد اعتصموا بالابراج ووثقا بوثاقها . واشتدوا بشدتها فيما علق بهم من علاقتها . ووصلوا بها اجنتهم . ونخروا فيها اسلحتهم فاخذت ظنونهم . وسخت عيدونهم . وخسر هنالك المبطلون . فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون .

فصل من كتاب الى اليمن في وصف الابراج واحراقها

استندد الفرنج اموالهم في عدا عدوها . وآلات اجدوها . واحكموا ابراجا شامخات ومجانيق شانخات . وزاد غرامهم بالغرامات . واستقلوا على عمل الابراج كثرة الخسارات . ومكثوا مدة على لجاجهم . يطرقون بين ايدي ابراجهم . ويمهدون الارض لتسوية مهاجمهم . فلما قدموها بعد لاي . واحكموا باحكامها كل تدبير وراي . واشرفوا منها على سور البلد بأمر ذات أسواء . وجاؤوا بالآلات وأدوات أدواء . واشفى البلد من بلائها واشفق . ووجل كل قلب وفرق . واحتجنا لمزاولة هذا الخطب الجليل . ومداواة الامر العليل الى ان نشغلهم بحصرنا اياهم عن التفرغ للحصر . وتضرعنا الى الله في انزال ملائكة النصر . فكان من لطف الله ما لم يكن في الحساب . واتى الله المجرمين بالعذاب . والهم اصحابنا مادا ووا به المرض . وادركوا به الغرض . واظهرهم ظهر يوم السبت الذي خصهم فيه بالظهور . وأقدرهم على رمي تلك الابراج بالنفط في القدور . وظهر من سر منع الله ما كان في المقدور . فذسلطت النار على عمل اهل النار . وتصاعدت زفرات غيظها بانفاس الشرار . ولع نور النصر الساطع من خلال ظلمة ذلك الدخان وكان كما قال الله تبارك وتعالى (يرسل عليكم شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران) (الرحمن ٣٥) وعادت تلك الاكم وهادا . وذلك الجمر رمادا .

وتحللت تلك الجبال وتحلل تركيبها . ولصق بالتراب ترتيبها .
وتنكس منها صليبها . وكانت ثلاثة أبراج شاهقة فلعبت في ملاعبها
النيران فاذا هي زاهقة . وتنقلت نجوم الشعل في تلك البروج . وعجز
شياطينها برجمات شهبها عن الخروج . وتسلط الحضيض على
يفاعها . وباد الدارعون فيها بادراعها . واضحك الله ثغر الثغر بما
اطابه من ارج الفرج . واخمد باشتعال ذلك الوهج ما اكره قلوب
المؤمنين من الوهج . وصان مهج أهل التوحيد بما أوداه لأهل
التثليث من المهج .

(فصل)

تقدم المشركون بالابراج الى البلد فقربوا من اسواره . والصقوا
منها جدراناً بجداره . واشرف الثغر على الخطر العظيم من جواره .
فاظهر الله ما كان خفياً من سر أقداره . واحرق عمل أهل النار
بناره . وكان اصحابنا عاينوا مادمهم وهمهم . وخصمهم من
الخطب وعمهم . نصبوا مجانيق بازاء الأبراج . وصدعوها بها صدع
الزجاج . ورموها منها بقدر الزنط فاشتعلت رؤوسها وشابت
وشبت . ومشت النار في اطرافها واعطافها ودبت . وارسل الله في
تلك الساعة بعذابها ريحاً بها هبت . فامست اجنحتها قد حصت
واسنمتها قد جبت . وسقط في ايديها ووجبت جنوبها وكبت على
وجوهها في النار وكبت . فما افصح السنة النيران وقد نادى
بنصرنا والفت منها قلوبنا بما الفت من ذق غليلها واحبت . والحمد
لله على الطافة التي ما غابت ولا اغتبت .

وقصدنا بذكر هذه الفصول ذكر الاحوال التي جرت بحقتها
وحقيقتها . وحليتها وجليتها . فانه يشتمل كل فصل على تمام ما
اغفل في غيره . ومقصودنا استيعاب كل حادث بذكره

ذكر تاريخ وصول الاكابر في هذه السنة

وفي الثلاثاء ثاني عشر ربيع الاخر . قدم عماد الدين زنكي بن مودود ابن زنكي بمن استنهضه من العساكر . وكان اول من استقبله حين ظهرت راياته . من العسكر كتابه وقضاته . ثم لقيه الملك المظفر تقي الدين بقل كيسان . ولقيه بعده الملك الظاهر خضرو المعز اسحق ولدا السلطان . فنزل لهما ونزلا له . وتعمدا اعظامه واجلاله . ثم تلقاه الملك الافضل ادنى من ذلك فتعانقا على فرسيهما اعفاء له من النزول . وتلقيا بالاقبال والقبول . ثم وصل اليه السلطان بالوجه الضاحك والطف المتدارك . واعتنقا على ظهر . واتفقا على بشر ونشر . وكان الملك العادل تأخر فلحق . واظهر من ارج سجاياه ما بذشره عقب ويحبه علق . وسار مع السلطان باطلاه وابطاله . وحماته ورجاله . حتى وقف قبالة العدو بصفوفه . ووقف عليهم طول الرعب وبطول وقوفه ثم ربه السلطان الي خيمته على رسم الضيافة . وترفرت الطافه عليه بالاطافه . ووقف ساعة مع الملك العادل حتى نخل السلطان سرادقه وجلس . وحضر الملك العادل بعماد الدين وبسط لفرشه ثوبا اطلس . واكرمه السلطان باجلاسه الي جنبه على الطراحة . وآنسه ببشر السماحة والسجاجة . ووقف الامراء والخواص والاولياء صفيين . وانشد الشعراء من المدح والذسيب صنفين . ثم احضرت المائدة فماد نحوها الحضور . وعقد الحبا لهم الحبور . ثم رفع الخوان وارتفع الاخوان . وحسن الخبر والعيان . وخلا المكان وحلا الامكان . فأمر السلطان له باحضار عشرة من العتاق العراب . وخمس عشرة رزمة من كرائم الثياب . ثم نهض وهو بعبه الشكر ناهض . واوجه العذر عارض . ونزل في خيمته وقد ضربت على النهر بعد المضارب العادلية . وملا تلك المروج بعساكره المليية . ثم وصل من بعده ابن اخيه معز الدين سنجر شاه ابن غازي بن مودود صاحب الجزيرة . بعساكره الكثيفة الكثيرة . وذلك يوم الاربعاء سابع جمادى الاولى . بالأيدي الأطول واليد الطولي . فالتقاه السلطان واخوه واولاده على قاعدة عمه . وأجراه

في الضيافة والكرامة والنزول بالخيمة السلطانية على حكمه . لكنه لم يقصر في القاعة عن رسمه . ونزل بخيمته في فناء السرادق العمادي . وقد استكثر من العسكر الجهادي . فكان ذلك المرج بحر امواجه الخيم والمضارب . أو سماء كواكبها ما اشعرته من صعداها الكتائب . أو غيل أساده في أجام القنا الفوارس . أو غدير من السوابغ حبابه التزائك والقوانس . أو سحاب بروقه الصوارم الرقاق . أو وهاد اكامها الصواهل العتاق . ثم وصل الملك السعيد علاء الدين خرم شاه ابن صاحب الموصل عز الدين مسعود بن مودود . وهو كوالده مسعود مودود . وفي شهامته وصرامته مشكور محمود . وذلك تاسع جمادى الاول يوم الجمعة بالمحاسن المتنوعة . والمفاخر الاصيلة المتفرعة . والصنائع المبدعة والبدائع المصنعة . وجيشه للقوة ضابط . وجاشه على الحمية رابط . وبأسه ليد الايدباسط وجنانه على الكفر ساخط . وهو شاب اول ما بقل خطه . وابتهج بكماله رهطه ، وكان ابوه قد عزم على الوصول بنفسه . وانهاب وحشة الخطب الملم بانسه . ثم رأى المصلحة في الإقامة وتقليم ولد المشكور المشهور الشهامة . فانهض العسكر المجر معه ثم اتبعه بمن حشده وجمعه ، فورد ورود السحاب الكنهور (٤٤) . ونور المطالع بسنى السنور (٤٥) واطلع بطلوعه على معنى البأس المصور . واحتفل السلطان بقدومه احتفاله بقدوم عمه . وحافظ من الكرامة على توفير سهمه . وانزله في سرادقه و اضافه . وأهدى خيله والطفاه . وامر بانزاله في الميمنة بين ولديه الملكين الافضل والظاهر . وضاق ذلك البر الواسع ببحر العساكر . ولم يبق في اهل السلطان الامن اقتدى به في الاحتفال بقدوم هؤلاء . واعتماد ما قام به البرهان على المخالصة في الولاء . والمسارعة الي الضيافة والاهداء . والاعانة الي المكارمة بعد الابداء .